

مع فتوحات :

# سُورَةُ الْفَاتِحِ

الدكتور محمود بن الشريف

أستاذ التفسير بالدراسات العليا بكلية الدراسات الإسلامية والعربية  
جامعة الأزهر



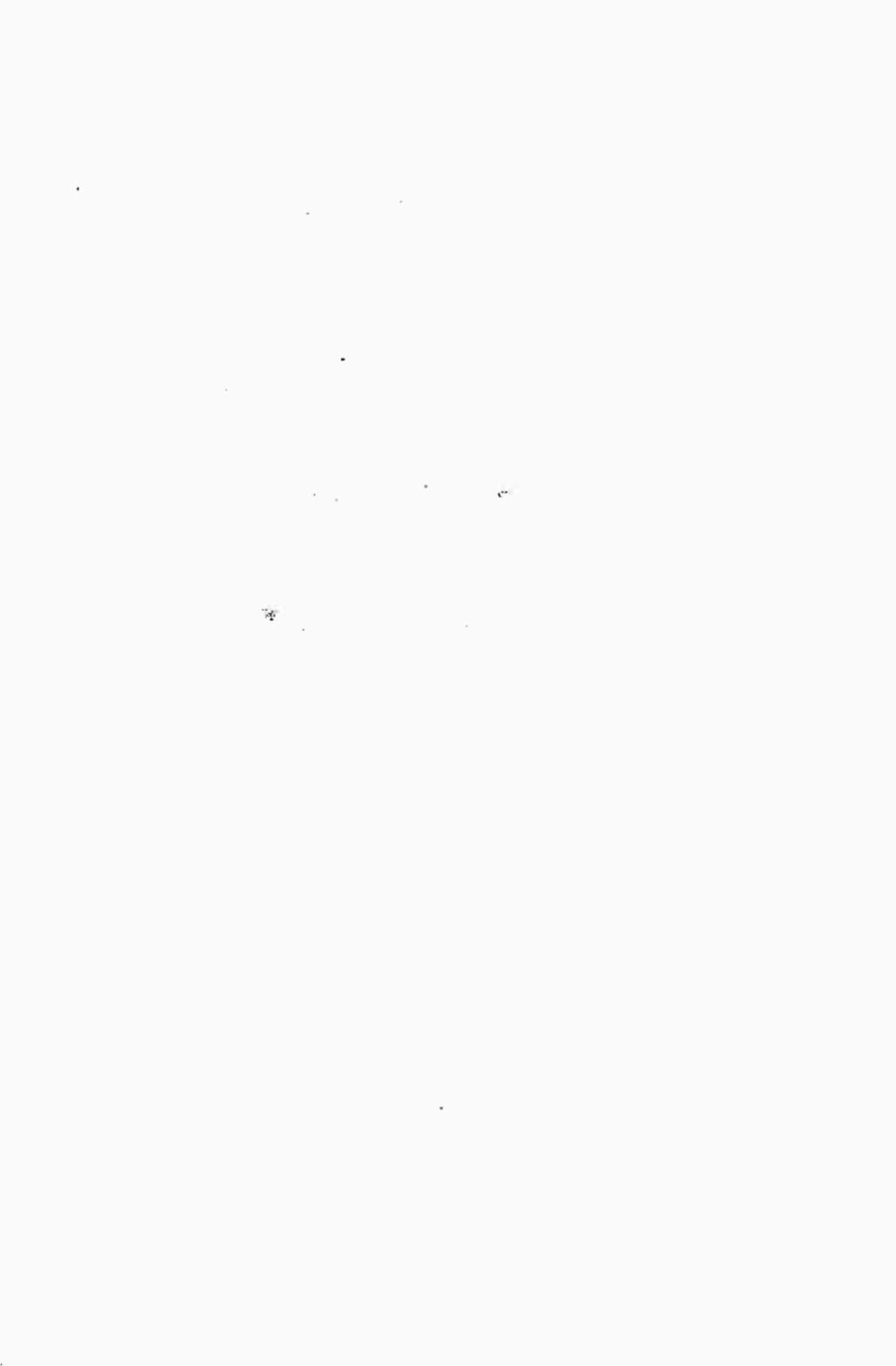
دارالمعارف

---

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا فَتَنَّاكَ فَتَىٰ بَيْنَنَا ۝۱ ﴾



## بين يدي السورة

تمهيد:

في شهر ذي القعدة من السنة السادسة من الهجرة، دعا رسول الله ﷺ أصحابه إلى أن يهبتوا أنفسهم لأداء العمرة، بعد أن رأى في المنام أن ملكاً هبط عليه وقال: ﴿لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين﴾..

ومن المدينة سار بهم النبي ﷺ... إلى مكة..

يسوقون الهدى أمامهم، ويحسون سيوفهم في أعماها - وهي سلاح المسافر - وكان عددهم قرابة ألف وأربعمائة.

وقد تخلف عن الخروج معهم قوم من الأعراب الضارين حول المدينة، لم يتمكن الإيمان من قلوبهم، ظنوا أن قريشاً ستقضى على النبي عليه السلام، وأنهم لن يعودوا إلى المدينة.. وأنهم إن خرجوا معهم فسيهلكون فيمن يهلك من المسلمين.. فسمى الله هؤلاء المتخلفين باسم (المخلفين). أي المتروكين خلف المسلمين..

ولما وصل رسول الله ﷺ وأصحابه إلى (ذى الحليفة) أحرم بالعمرة؛ ليعلم الناس أنه لا يريد قتالا، وإنما يريد زيارة بيت الله الحرام معظماً له، مؤدياً فريضة فرضها الإسلام كما فرضتها الأديان من قبل، لذا خرج في ذي القعدة في الشهر الحرام..

وفكرت قريش جادة في الحيلولة بين المسلمين وبين زيارة البيت  
الحرام..!!

وقررت أن تحول بين المسلمين وبين زيارة البيت مهما كلفها الأمر..!!  
وأرسلت «خالد بن الوليد» و«عكرمة بن أبي جهل» في مائتي  
فارس، وعسكروا في «كراع الغميم» ليحولوا بين المسلمين.. وبين دخول  
مكة.

وعلم رسول الله ﷺ باستعداد قريش للقتال.  
ولما كان ﷺ لا يريد قتالاً نادى في أصحابه قائلاً:  
من يخرج بنا على طريق غير طريقهم؟  
فقال رجل من قبيلة أسلم: أنا يا رسول الله.  
وسار بركب المسلمين عن طريق صعب وعري، قاس، عانى منه المسلمون  
عناءً شديداً..

حتى وصلوا إلى «الحُدَيْبِيَّة» بأسفل مكة.  
(والحُدَيْبِيَّة قرية قريبة من مكة، أكثرها في الحرم)..  
وأرسلت قريش إلى رسول الله ﷺ الوسطاء والسفراء يسألونه عليه  
السلام عن الذي جاء به، وعن الغرض من قدومه إلى مكة. وقال عليه  
الصلاة والسلام:

إننا لم نجيء لقتال، وإنما جئنا زائرين مُعْظَمِينَ البيت الحرام.  
وتعددت رسل قريش للرسول، ﷺ.

وبدأ النبي ﷺ في إرسال الرسل من جانبه يبلغهم رأيه وغرضه، ثم  
أرسل أخيراً عثمان بن عفان، واستطاع رضَى اللهُ عنه أن يبلغ رسالة

محمد ﷺ كاملة. وقالت له قريش: إنها أقسمت أن لن يدخل محمد مكة هذا العام عنوة. وقالوا لعثمان: إن شئت أنت أن تطوف بالبيت فطف. فقال: ما كان ينبغي لي أن أطوف ورسول الله ﷺ ممنوع. وما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله، ﷺ.

وطال مكثُ عثمان بمكة.. وأشيع أنه قُتل..!!

ولما بلغت هذه الشائعة رسول الله ﷺ.. رأى أن قريشاً بذلك القتل قد فعلت أمراً ينكره العرب ويأباه الشرف.. فدعا المسلمين إلى البيعة..

بيعة الرضوان:

فبايعه المسلمون على القتال.. وعلى الثبات والصبر في وجه قريش، حتى يكتب لهم النصر أو الشهادة، وكانت هذه هي بيعة الرضوان.

ولما أخذ البيعة من المسلمين ضرب - ﷺ - بإحدى يديه على الأخرى وقال:

هذه لعثمان، كأنه حاضر معهم بيعة الرضوان هذه.

وبعد أن اهتزت السيوف في أعمادها، وجعل كلُّ ينتظر الساعة الحاسمة بين الحق والباطل، بين الإسلام والكفر بنفس متطلعة للاستشهاد، ومطمئنة بالإيمان.. وأنهم وكذلك إذ بلغهم أن عثمان لم يُقتل.. ثم لم يلبثوا أن أقبل عثمان بنفسه.

وأبلغ عثمان النبي ﷺ بموقف قريش وإصرارهم على منعه من دخول مكة هذا العام.. وإلا فليس أمامهم إلا الحرب، وأنهم لها لكارهون في هذه الأشهر الحرم.

## الصلح.. والعهد:

وعلمت قريش بأمر هذه البيعة.. لذا رأوا أن يرسلوا إلى رسول الله ﷺ «سُهَيْل بن عمرو» ليعقد معه صلحاً.. وقالوا له:  
آيت محمدًا فصالحه، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا،  
حتى لا تتحدث العرب عنا أنه دخل علينا مكة عنوة.  
وأقبل «سهيل» على رأس وفد من قريش قاصدين معسكر المسلمين.  
ودارت مفاوضات.. كادت تنقطع في بعض الأحيان.  
وكان بعض المسلمين يضيق صدرًا بأمر هذه المحادثات، لتشدد  
سهيل بن عمرو في مسائل كان النبي ﷺ يتساهل في قبولها.  
وتم الصلح على أسس:

أولها: أن يرجع المسلمون دون زيارة البيت هذا العام، فإذا كان العام  
التالي أخلت قريش لهم مكة ثلاثة أيام ليطوفوا بالبيت، وليس معهم  
إلا السيوف في غمدها.

ثانيًا: أن تضع الحرب أوزارها بين الطرفين عشر سنوات.  
ثالثًا: مَنْ أتى رسول الله ﷺ من قريش مسلمًا رده إليهم، ومن ارتد من  
المسلمين وأتى قريشًا لم يردوه.

عز على بعض المسلمين قبول الرسول ﷺ لهذه الشروط. ومن هؤلاء  
عمر بن الخطاب الذي قال لأبي بكر الصديق:  
يا أبا بكر: أليس برسول الله؟  
قال: بلى.

قال عمر: أو لسنا مسلمين؟.

قال أبو بكر: بلى.

قال عمر: فعلام نعطي الدِّينَةَ في ديننا؟.

قال أبو بكر: يا عمر، الزم رحلك، فإني أشهد أنه رسول الله.

قال عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله، ثم قال: أو لم يعدنا أننا سندخل

المسجد الحرام آمنين؟.

قال أبو بكر: وهل قال لك في عامنا هذا!؟.

ثم أتى رسول الله ﷺ، وتحدث معه بمثل ما تحدث مع أبي بكر..

وفي النهاية قال له رسول الله ﷺ «أنا عبد الله ورسوله ولن أخالف

أمره ولن يُضَيِّعَنِي».

أى: إن وراء هذا الموقف حكمة قد غابت عنك يا عمر.. إن كان

علمك يا عمر يقول لك: إن الأمر ليس في صالح المسلمين، فاعلم أن علم

الله أكمل من علمك.

وبعد أن تمَّ الصلح ووقعت المعاهدة. قال الرسول ﷺ لأصحابه:

قوموا فانحروا ثم احلقوا..

وبعد أن تحلّلوا من العمرة.. أقاموا بالحديبية عدة أيام ثم عادوا راجعين

إلى المدينة، وفي طريق عودتهم من الحديبية.. إلى المدينة نزلت سورة

الفتح..

وبعد شهرين من نزول سورة الفتح، أى في أوائل السنة السابعة من

الهجرة كان فتح خيبر.

وفي السنة الثامنة من الهجرة.. كان فتح مكة..

\*\*\*

في طريق العودة من الحديبية إلى المدينة.. نزلت سورة الفتح.

يقول البخارى وأبو داود والنسائى وجماعة عن ابن مسعود قال:

«أقبلنا من الحديبية مع رسول الله ﷺ، وكان قد خرج إليها ﷺ يوم الاثنين، هلال ذى القعدة، فأقام بها بضعة عشر يوماً، ثم قفل ﷺ. فبينما نحن نسير إذ أتاه الوحي، وكان إذا أتاه اشتد عليه فَمَسْرَى عنه، وبه من السرور ما شاء الله تعالى، فأخبرنا ﷺ أنه أنزل عليه: ﴿إنا فتحنا لك...﴾ إلخ.

فرح رسول الله ﷺ بهذه السورة، فرح قلبه الكبير بهذا الفيض الربانى عليه وعلى المؤمنين معه. فرح:

بالتفتح المبين، وبالمغفرة الشاملة، وبالنعمة التامة، وبالهداية إلى صراط الله المستقيم، وفرح بالنصر العزيز الكريم، وفرح برضا الله عن المؤمنين، وفى ذلك يقول ﷺ:

نزل عَلَى البارحة سورة أحب إلى من الدنيا وما فيها: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً...﴾.

## سورة الفتح

هذه السورة مدنية

على الاصطلاح المشهور:

من أن المدني ما نزل بعد الهجرة، والمكي ما نزل قبل الهجرة.

آياتها: تسع وعشرون آية.

وسميت سورة الفتح؛ لأن المولى تبارك وتعالى بشرَ رسوله في مفتحها

بالفتح المبين:

﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾.

## ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ① ﴾

الفتح: في اللغة:

إزالة الإغلاق.

ويُطلق الفتح ويُراد به الحكم، ومنه قوله تعالى:

﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين﴾.

والفتح: النصر ومنه: الاستفتاح بمعنى الاستنصار.

﴿وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا...﴾.

أى يستنصرون ببعثة محمد ﷺ.

ويطلق الافتتاح على الابتداء؛ ومنه فاتحة الكتاب.

واختلف في تعيين الفتح هنا في صدر هذه الآية الكريمة:

قيل: هو صلح الحديبية.

وقيل: إنه فتح مكة.

وقيل: فتح خيبر.

وقيل: هو جميع ما فتح الله لرسوله من الفتوحات.

\*\*\*

والذى عليه جمهور المفسرين هو الرأى الأول: هو صلح الحديبية.

ويسمى فتحاً لأن نتائجه كنتائج الفتح والغلبة والنصر. (ولأنه كان

سبباً في فتح مكة).

وكان هذا الصلح أعظم فتح في تاريخ الإسلام والمسلمين.

فقد أثبتت الأيام أن هذا الصلح كان حكمة سياسية عظيمة تولى الله توجيه المسلمين إليها، فقد كانت هذه أول مرة تعترف فيها قريش بالنبي ﷺ، وأنه ندها لا أنه نائر عليها، خارج عنها، وهى بهذا تعترف بقيام الدولة الإسلامية التى يدعو إليها وإقرارها بحق المسلمين فى زيارة البيت العتيق، وإقامة الشعائر.

واعتراف منها بأن الإسلام دين مقرر معترف به من أديان شبه الجزيرة العربية.

كذلك انتشر الإسلام بعد هذا الصلح انتشاراً كبيراً فقد كان عددهم عند الصلح ألفاً وأربعمائة، وصل بعد أقل من عامين إلى أكثر من عشرة آلاف مسلم بعد أن انس القرشيون للنبي ﷺ، وعرفوا الكثير من أخلاقه الحميدة، وسياسته الحكيمة وصدقه ووفائه بالعهد فلانت قلوبهم القاسية، ودخل القرشيون والعرب الذين سمعوا بذلك.. دخلوا بعد ذلك فى دين الله أفواجا.

وقيل: إن المراد بالفتح: فتح مكة.

فهو وعد مه سبحانه بحصول الفتح.

وعبر بالماضى لتحقق وقوع الفتح وحصوله.

وقيل: إن المراد بالفتح: فتح خيبر.

إذ كان فى أول السنة السابعة الهجرية، أى بعد شهرين من نزول السورة، فكان أقرب النتائج المباشرة لصلح الحديبية ﴿وأناهم فتحاً قريباً﴾.

وقد وَفَّقَ ابن حجر بين هذه الأقوال الثلاثة بوجه آخر قال فيه:  
إن الفتح المذكور في صدر هذه السورة مراد من قال: إنه صلح  
الحديبية.

والفتح المذكور في قوله ﴿وَأَتَاهِمُ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ مراد من قال: إنه فتح  
خيبر.

والفتح المذكور في قوله ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ مراد من قال إنه  
فتح مكة.

\* \* \*

مبيناً: واضحاً ظاهراً.

## ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُنِمْ نِعْمَةً وَعَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ ①

والفتح جهاد وقتال ومغالبة ومشقة.. وله مقدمات واستعدادات.. وله جيش وسلاح.. وعتاد.. ومثونة.

وقد بذل رسول الله ﷺ في الفتوحات عامة، وفي صلح الحديبية بخاصة. كثيراً من الجهود حتى أتم الله الصلح على يديه وجعله فتحاً مبيناً.. وحتى نشر في دنيا الناس دين الله.. وكمل على يديه الدين ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾.

فاستحق من الله أن يرفعه إلى أسمى الدرجات، وأن يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فتكون اللام هنا في قوله تعالى:

ليغفر: تكون للتعليل:

أى: إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً لكى يكون الفتح علة وسبباً في:

- ١ - مغفرة ذنوبك.
- ٢ - وإتمام نعمته عليك.
- ٣ - وهدايتك إلى الصراط المستقيم.
- ٤ - ونصرك النصر المؤزر القوي.

فالفتح معلل بكل واحد من المغفرة وتوابعها. على معنى أن العلة التامة للفتح هي هذه الأمور الأربعة.

وهذا هو الأصل من العطف الذى يشعر بالاشتراك فى متعلق اللام، ويكون بمثابة تكرارها، فيكون الفتح سبباً لكل واحد من الأمور الأربعة. فلم يجعل فتح مكة علة للمغفرة وحدها، ولكن لاجتماع ما عدد من الأمور الأربعة: وهى:

المغفرة، وإتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز، كأنه قيل:

يسرنا لك فتح مكة، ونصرتك على عدوك لنجمع لك بين عز الدرارين.. قال الفخر الرازى: ﴿ليغفر لك﴾ ينبىء عن كون الفتح سبباً للمغفرة، والفتح لا يصلح سبباً للمغفرة، والجواب: أن الفتح لم يجعل سبباً للمغفرة وحدها، بل هو سبب لاجتماع الأمور المذكورة: وهى: المغفرة، وإتمام النعمة، والهداية، والنصر.

وقد أخذ كثير من المفسرين يذكرون وجوهاً فى الربط بين الفتح والمغفرة وفى كونه سبباً لها.

منها قولهم: إن الفتح من حيث كونه جهاداً للعدو والقصد منه إزاحة الشرك، وتخليص الضعفاء من أيدي الظالمين، فهو سبب للمغفرة.

ومنها قولهم: إن الفتح باعتبار ما ترتب عليه من تطهير البيت من رجس الأوثان كان سبباً للمغفرة.

ومنها قولهم: إن الفتح مكتمهم من إقامة شعائر الدين فكان سبباً للمغفرة.

والرسل - عليهم الصلاة والسلام - معصومون لا يذنبون.. ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾.

فقد اختارهم الله سبحانه لحمل رسالته،

فهم مطهرون مبرءون من النقائص.  
عرفوا بالصدق، والأمانة، والتبليغ، والفتانة.  
ومكارم الأخلاق، وحسن السيرة، ونبل القلب والسريرة ﴿وإنهم عندنا  
لمن المصطفين الأخيار﴾.

ويستحيل عليهم الكذب، والخيانة، وعدم التبليغ.  
فهم معصومون في دائرة الأوامر والنواهي الإلهية.. وشريعة الله..  
يؤيدهم وحى الله وتحميهم عصمته.

غير أن الوحي لا يلزم الأنبياء في كل عمل يصدر منهم، وفي كل قول  
يبدرون منهم، فهم عرضة للخطأ في بعض أمور الدنيا كما قال المصطفى  
المعصوم عليه السلام: «أنتم أعلم بشئون دنياكم»..

ويمتازون عن سائر البشر بأن الله سبحانه لا يقرهم على الخطأ الدنيوي  
بعد صدوره منهم ويعاتبهم عليه أحياناً، كما في قوله تعالى ﴿عبس  
وتولى﴾.

وكما في عتاب الله لرسوله الكريم على الإذن للمنافقين ﴿عفا الله عنك  
لم أذنت لهم﴾. (سورة التوبة: آية ٤٣)

وعلى أخذ الفداء من الأسرى.. أسرى بدر.. ﴿ما كان لنبي أن يكون  
له أسرى حتى يشخن في الأرض﴾ (سورة الأنفال: آية ٦٧)

وهذا الذي يعاتبون عليه.. هو ما يسمى ذنباً في حقهم عليهم السلام.  
وهذه الذنوب لا تنافي الرسالة..  
كما لا تنافي البشرية الكاملة..

هي ذنوب لا تنقص من قدرهم، ولا تخل بشرفهم، ولا تنقص من

كرامة هؤلاء الذين اصطفاهم الله لرسالته، وأعدهم لحملها منذ نشأتهم  
فطهرهم من كل دنس يخدش من شرفهم، أو يحط من مقامهم، وجعلهم  
مثلاً علياً للبشرية الفاضلة عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام.

ما تقدم من ذنبك قبل الرسالة، وما تأخر بعدها

لم يكن للنبي ﷺ ذنب.. فماذا يغفر له؟

قيل: الصغائر، فانها جائزة على الأنبياء.

وقيل: ترك الأفضل. فليست ذنوبه ﷺ كذنوب بقية الناس.

بل هي: ما قد يفرط منه ﷺ: مما يعاتب عليه، أو يكون مخالفاً لما هو  
الأولى والأفضل.. مما لا يخجل بالشرف والمروءة.. من باب: (حسنات  
الأبرار سيئات المقربين)

فلو تبرع بعض الأبرار مثلاً، بنصف ماله، كان منه حسناً جميلاً، ولكن  
لو قام النبي بهذا التبرع لعد منه تقصيراً في مقام النبوة وكان مأخذاً يعاتب  
عليه لعظم مكانته في التبرع والجهاد.

وقيل: جميع ما فرط منك من الهفوات مما يصح أن يسمى ذنباً بالنظر  
إلى مقامك الشريف، وإن كان لا يسمى ذنباً بالنظر إلى سواك.

والله سبحانه: قد اصطفى محمداً من بين خلقه واختاره للرسالة  
الأخيرة.. وفضله على سائر الأنبياء والرسل.

كانت الرسالة من الله لصفية.. هبة، ومنحة، واصطفاء

كانت الرسالة من الله فتحاً.. ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾

وكانت الرسالة عطاء ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ كانت الرسالة فضلاً من

الله المعطى.. ولا حرج على فضل الله الوهاب.

منح رسوله ﷺ الخلق العظيم ﴿وإنك لعلی خلق عظیم﴾  
وعلمه وتفضل عليه ﴿وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك  
عظيماً﴾

ورباه، وهذبه وأدبه «أدبني ربي فأحسن تأديبي»

حتى الفتح هذا وإن كان من الله، فقد أضاف الله سبحانه جزاء هذا  
الفتح إلى الرسول الكريم، فالفتح فتح الله ﴿إنا فتحنا﴾ وهو فتح للنبي  
ﷺ ﴿لك﴾، ومغفرة لما تقدم من ذنبك وما تأخر، وهداية لك إلى صراط  
الله.

ويتم نعمته عليك:

بانتصارك على أعدائك، وبعلو شأنك دنيا وآخرة، أو بالنبوة والحكمة،  
أو بفتح مكة والطائف وخيبر.. أو بخضوع من استكبر وطاعة من تجبر.. أو  
بإظهار دينك على الدين كله وإعلاء شأنه، وانتشاره في البلاد، ورفع ذكرك  
في الدنيا والآخرة.

أو: الدين نعمة.. وإتمامه على يدك يا محمد ﴿اليوم أكملت لكم دينكم  
وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾.

اليوم أي: يوم مبعث محمد، كمل الدين الذي نزل ناقصاً (خاصاً) على  
كل رسول، ونزل كاملاً على محمد ﷺ.

﴿ويهديك صراطاً مستقيماً﴾

يهديك: يثبتك على الهدى، ويكفل لك التوفيق في جميع شئونك.

أو: هي الشريعة الإلهية التي تضمن للناس خيرهم وصلاحهم في كل  
زمان ومكان.

أو: يرشدك طريقاً من الدين لا اعوجاج فيه يستقيم بك إلى رضا ربك.  
﴿قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيمياً ملة إبراهيم حنيفاً﴾  
(سورة الأنعام: آية ١٦١)

فالهداية إلى صراط مستقيم تقرأها هذه الآية من سورة الأنعام.

## ﴿ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا ﴾

يهدم حصون خيبر.

أو: يفتح مكة ذلك الفتح العظيم الذي تم بلا مقاومة ولا دفاع ولا إراقة دماء، أو بالنصر يوم حنين بعد أن انهزم الصحابة وثبت الرسول ﷺ ومعه نفر قليل فكتب الله لهم النصر يومئذ..

أو: وينصرك على أعدائك نصرًا ذا عز بالغ فيكون المراد بالنصر النصر العام..

﴿ وَلِيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ﴾

هذه هبات.. ومزايا.. ومنح.. اختص بها رسول الله ﷺ.

لم تمنح لأحد من قبله.. ولن تكون لأحد من بعده..

فرح بها رسول الله ﷺ.. فرح بهذا الفيء الرباني الذي أفاءه الله عليه وعلى المؤمنين معه..

فرح بالفتح المبين.. وبالغفرة الشاملة.. وبالنعمة التامة.. وبالهداية إلى الصراط المستقيم.. وفرح بالنصر العزيز الكريم.. وفرح برضا الله عن المؤمنين.

لما نزلت هذه الآيات من سورة الفتح قال ﷺ: لقد نزلت على آيات هي أحب إلى مما طلعت عليه الشمس.. أحب إلى من الدنيا وما فيها..

لما نزلت عليه هذه الآيات من سورة الفتح، تلقى - ﷺ - ما فيها من منح وبشارات يبلغ التناء لمولاه، وأخذ يدعو ويشكر ويصلى لربه حتى

تورمت قدماه.. وأخذ يجرد في العبادة حتى أشفق عليه أصحابه وقالوا له:  
أتفعل هذا بنفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟  
فقال ﷺ: أفلا أكون عبداً شكوراً.

بعد هذا الافتتاح الذي افتتحت به هذه السورة الكريمة وفيه تبيان  
ما أكرم الله به رسوله المصطفى -ﷺ- وما أنعم على المختار صفيه  
وحبيبه..

يمضى سياق الآيات بعد ذلك مبيناً نعم الله على المؤمنين، وما أفاء عليهم  
في الدنيا من سكينته، وما ادخره لهم في الآخرة من رضا ورضوان وغفران.  
يقول المولى:

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ  
لِيَزِدَهُمْ بَأْسًا وَعِزًّا وَمَعَ إِيمَانِهِمْ وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ  
اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٤﴾ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ  
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ  
عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٥﴾

السكينة: الثبات والطمأنينة. (من السكون مشتقة) والمراد بها ما يسمى في العصر الحديث (بالروح المعنوية للجيش).  
وأنزل السكينة: خلقها ووضعها في القلوب.  
إيماننا مع إيمانهم: يقيناً مع يقينهم. يكفّر: يغطي ولا يظهر. والمراد المغفرة.

وقد أنزل الله السكينة في قلوب المؤمنين وهم بالحديبية مرتين:

١ - مرة حين أرجف بقتل عثمان رضي الله عنه، وثارت قلوبهم، فتلقاها الله بسكينته فبايعوا النبي ﷺ على الموت.

وفي ذلك يقول الله ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم﴾

٢ - وأنزلها مرة أخرى حين تشددت قريش في شروط الصلح، وكاد الشيطان ينزغ بينهم بسبب قبول الرسول ﷺ لهذه الشروط، التي عز على

المسلمين قبولها فتداركهم الله برحمته وأنزل سكينته عليهم فأطمأنوا إلى ما قبله رسول الله ﷺ.

وهذه السكينة هي المذكورة في قوله تعالى في هذه السورة ﴿إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾..

الإيمان: هو التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر..

لا بد في الإيمان من التصديق بكل هذه الجزئيات.

ومن أنكر جزئية من هذه الجزئيات لا يكون محصلاً للإيمان.

ولا بد في الإيمان من العمل: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾ ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً﴾. والعمل بدون إيمان لا قيمة له.

والإيمان يزيد وينقص:

وقد صرح القرآن في آيات كثيرة أن الإيمان يزيد:

﴿ويزداد الذين آمنوا إيماناً﴾

﴿ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم﴾

﴿فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً﴾

ولله جنود السموات والأرض:

المراد بالجنود: القوى المودعة في الكون: محسة كانت: كالصواعق والعواصف والحسب والصيحة.

أم غير محسنة: كعالم الجن والملائكة. هو وحده يتصرف في هذه القوى كيف شاء حسبما تقتضيه حكمته فيسلطها على من يشاء، وينصر بها من يشاء.

وكان الله عليماً بخواص هذه الجنود وبما أودعه فيها من قوى، حكيمياً في تقديره وتدييره فيصرف ما شاء من الجنود إلى من شاء من الخلق.

وهذا العطاء وذلك الإحسان هو من مالك الملك من بيده ملكوت السموات والأرض، ممن له جنود السموات والأرض كلها مسخرة له عاملة بمشيئته: مشيئة العليم الذي يقضى بعلم، الحكيم الذي كل أموره بتقدير وحكمة.

ليدخل المؤمنين والمؤمنات:

وقد قرن المولى سبحانه المؤمنات إلى المؤمنين في ثمار هذا الفتح ونتائج هذا الجهاد، إشارة إلى أن النساء إذا أدين رسالتهن، وأدين واجبهن نحو دينهن وأسرتهن وأزواجهن، كن شريكات للرجال في الرضا والمغفرة.

يؤيد هذا الحديث الذي رواه مسلم من أن أساء بنت يزيد الأنصاري، أتت النبي ﷺ، وهو بين أصحابه فقالت: بأبي وأمي أنت يا رسول الله. أنا وافدة النساء إليك..

إن الله عز وجل بعثك إلى الرجال والنساء كافة، فأمننا بك ربنا..  
إنا معشر النساء محصورات مقصورات، قواعد بيوتكم، وحاملات أولادكم..

وإنكم معشر الرجال فضلتم علينا بالجمع.. والجماعات.. وعبادة المرضى، وشهود الجنائز والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عز وجل

وإن أحدكم إذا خرج حاجًا أو معتمرًا، أو مجاهدًا غزنا لكم أثوابكم، وربينا لكم أولادكم، أنشركمكم في هذا الأجر والخير؟

فقال ﷺ: «اعلمى أيتها المرأة وأعلمى من خلقك من النساء أن حسن تبعل المرأة لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كله».

.. فقد كان من شمول نعمة هذا الفتح مشاركة المؤمنات للمؤمنين فيما وعدهم به الله من دخول الجنة وتكفير السيئات.

فالمؤمنون والمؤمنات يدخلهم الله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها متجاوزًا عن سيئاتهم.

وفي تقديم إدخال المؤمنين والمؤمنات الجنة على تكفير السيئات: إشارة إلى أن دخول الجنة أمر مقضى به لكل مؤمن ومؤمنة سواء أكان ذلك من غير عذاب، أو بعد أن يستوفى العصاة من المؤمنين عذابهم، فهم جميعًا موعودون بالجنة.

أما تكفير السيئات فهو إلى رحمة الله سبحانه.  
لذا قدّم الإدخال على التكفير مع أن الأمر بالعكس.  
وتكفير السيئات: هو سترها وعدم إظهارها.  
وكان ذلك: أى ذلك الوعد بإدخالهم الجنة وتكفير سيئاتهم.  
عند الله: أى فى حكمه فوزًا عظيمًا

ثم لما فرغ من ذكر ما وعد به صالح المؤمنين، ذكر ما يستحقه غيرهم، فقال:

﴿ وَعَذَابُ النّٰفِقِينَ وَالْمُنٰفِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ  
 وَالشُّرِكَةِ الظّٰلِمَاتِ بِاللهِ ظَنّٰ الشُّوْءَ عَلَيْهِمْ دَابِئْرَةُ السُّوْءِ  
 وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَ لِمُصِيْرٍ ۝٧ وَلِلّٰهِ  
 جُنُودُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيْمًا ۝٧ ﴾

المنافقون: هم الذين يظهرون الإسلام ويضرون الكفر هؤلاء يعذبهم الله في الدنيا عذاباً نفسياً يحز في نفوسهم، ويؤلم قلوبهم، ويملؤها غمًا وهماً بسبب ما يشاهدونه من ظهور كلمة الإسلام، وقوة جريانه وسرعة انتشاره وما يصيب أعداء الإسلام من قتل وقهر وأسر وفي الآخرة يعذبهم الله بعذاب جهنم.

وفي تقديم المنافقين على المشركين، دلالة على أنهم أشد عذاباً من المشركين يوم القيامة، وذلك لأن النفاق أغلظ إثماً وأشنع جرماً من الشرك، لأن الشرك وجه واحد من وجوه الشر، أما النفاق فهو وجوه كثيرة من الشر يعيش بها المنافق، ويلبسها وجهاً ووجهاً ويتبادلها حالاً بعد حال.

فالمنافقون كانوا أشد على المؤمنين من الكافر المجاهر لأن المؤمن كان يتوقى المشرك المجاهر، وكان يخالط المنافق لظنه بإيمانه، وكان المنافق يفضى أسرار المؤمن بعد أن يفضى بها المؤمن إليه؛ فالمنافق أشد خطراً على الإسلام والمسلمين من المشركين؛ لأن النفاق قوة خفية تدبر المكائد للمسلمين، وتتستر بقناع من الإسلام يخفى شرها وحقيقة أمرها.

الظانين بالله ظن السوء:

ظنهم أن الله تعالى لا ينصر الرسول والمؤمنين ولا يرجعهم إلى مكة ظافرين، وظنهم أن كلمة الكفر تعلق كلمة الإسلام.

﴿بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول.. الآية﴾.

أو ظن المشركين بالله في الإشراك، كما في قوله تعالى:

﴿إن يتبعون إلا الظن..﴾.

عليهم دائرة السوء:

ما يظنون به المؤمنون دائر عليهم، وراجع إليهم وحائق بهم، فالعذاب والهلاك اللذان يتوقعونه للمؤمنين واقعان عليهم نازلان بهم.

والسوء: الفساد أو الهلاك والدمار.

وغضب الله عليهم: سخطه عليهم، والغضب صفة قديمة قائمة بذاته تعالى من آثارها إنزال العقوبة على المغضوب عليهم، وقيل: نالهم غضب من الله.

ولعنهم: طردهم من رحمته وأعد لهم جهنم يصلونها وساءت مصيراً ومنزلاً يصير إليه هؤلاء وأولئك.

وأعاد قوله والله جنود السموات والأرض: للإشارة إلى أن الجنود هنا، جنود العذاب بمناسبة ذكر المنافقين والمشركين، فلو أراد تعذيب المنافقين والمشركين في الدنيا لما أعجزه ذلك ولأرسل عليهم جنود العذاب، ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى..

\*\*\*

خلاصة ما سلف:

أنه قد ترتب على هذا الفتح أربعة أشياء للنبي ﷺ:

- ١ - مغفرة الذنوب.
- ٢ - اجتماع الملك والنبوة.
- ٣ - الهداية إلى الصراط المستقيم.
- ٤ - العزة والمنعة.

وفاز المؤمنون بأربعة أشياء:

- ١ - الطمأنينة والوقار.
- ٢ - ازدياد الإيمان.
- ٣ - دخول الجنات.
- ٤ - تكفير السيئات.

وجازى الكفار بأربعة أشياء:

- ١ - العذاب.
- ٢ - الغضب.
- ٣ - اللعنة.
- ٤ - دخول جهنم.

وبعد أن أتم الكلام على ما لكل من النبي - ﷺ - والمؤمنين من الثمرات التي ترتبت على عمله، أعقبه بما يعم ويشمل ذلك كله (وبما يعمهم جميعاً) مؤمنين ومنذرين فذكر أنه أرسل رسوله شاهداً على أمته ﴿ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾ ومبشراً لها بالثواب، ومنذراً بالعقاب وأبان أن فائدة هذا الإرسال، هو الإيمان بالله وتسبيحه غدوة وعشيا ونصرة دينه.

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ

شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِنُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَتُعَزِّرُوهُ  
وَتُقَرِّبُوهُ، وَتُسَبِّحُوهُ بِكُزَّةٍ وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ ﴾

اصطفاء النبي الكريم - ﷺ - للرسالة، منحة خالصة من الله سبحانه  
وتعالى، وإحسان ليس للنبي ﷺ دخل فيه ولا اجتهاد.  
إنه رحمة من رحمة الله، وفضل من فضله، يؤتبه من يشاء والله ذو الفضل  
العظيم.

فاصطفاه المولى لعبده محمد ﷺ عطية من العطايا الجليلة وهبة من  
الهبات التي تفضل الله بها على رسوله، فكانت الرسالة نعمة أخرى من نعم  
المولى، أضيفت إلى النعم الأخرى: نعم الفتح، والمغفرة، والنصر.

شاهدًا: على أمتك بتبليغ الرسالة إليهم كاملة وأنها أمانة في أعناقهم  
يبلغونها من بعده، أو شاهدًا على أعمالهم يوم القيامة من طاعة أو معصية.

والحكمة في جعله ﷺ شاهدًا بين يدي ربه - والله هو العليم الخبير  
لا يغرب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء - هي إظهار للعدل  
الإلهي، والزمام للناس بما اقترفوه من آثام وكشفه لهم بما لا يدع مجالاً  
للإنكار لئلا يكون للناس على الله حجة.

ومبشراً: من أطاعك بالجنة.

ونذيراً: لأهل المعصية بالنار.

وقد جرت سنة الله في خلقه أن يجمع بين الترغيب والترهيب، ويشفع الوعد بالوعيد؛ لذا قرن البشري بالإنذار ومن الناس من ينفعه الترغيب وآخرون لا ينفعهم إلا التخويف والتهديد، لذا أكثر الله سبحانه من ذكرهما في القرآن ﴿إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً﴾.

لتؤمنوا بالله ورسوله: فالثمرة العليا من إرساله ﷺ شاهداً ومبشراً ونذيراً، هي أن تؤمنوا بالله ورسوله وتنصروا الله، ونصرة الله بنصرة دينه. فاللام: لام التعليل.

والضمائر في الأفعال الثلاثة: تعزروه، توقروه، تسبحوه.

قيل: الضمائر كلها في هذه الأفعال الثلاثة لله سبحانه وتعالى.

ويكون معنى:

تعزروه: تعظموه وتفخموه وتنصروه.

والتعزير: التعظيم والتوقير.

والمراد: تعزير دينه ورسوله.

توقروه: تعظموه وتقدروه حق قدره.

وتسبحوه: تنزهوه وتقدهوه وتنزهوا الله عما يقوله الجاحدون.

فالضمائر كلها راجعة إلى الله سبحانه - وذلك هو الأولى والأصح -

ومن فرّق الضمائر فقد أبعده: فقد قال بعض المفسرين: إن بعض الضمائر

هنا عائد إلى رسول الله ﷺ.

فالتعزير للرسول ﷺ - وإضافة هذا التعزير للرسول تكريم له.

ويشهد لهذا الرأي قوله تعالى: ﴿فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه

واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾.

(سورة الأعراف: آية ١٥٧)

فالضمانر هنا كلها عائدة إلى الرسول ﷺ والقرآن يفسر بعضه بعضاً.  
أما التوقير، فهو لله وللرسول، والتسبيح خالص لله وحده.

فعل ذلك يكون بعض الكلام راجعاً إلى الله سبحانه، وهو «تسبحوه»  
من غير خلاف، وبعضه راجعاً إلى رسوله ﷺ وهو «تعزروه وتوقروه» أى  
تدعوه بالرسالة والنبوة وتنادونه بيارسول الله ولا تدعونه بالاسم يا محمد  
أو بالكنية: يا أبا القاسم..

بكرة وأصيلاً: أى: صباحاً ومساءً أو طرفاً النهار لأن البكرة أول النهار  
والأصيل: آخر النهار (وقت العصر) أى: جميع النهار، والمراد من  
تسبيحه - جلّ وعلا - بكرة وأصيلاً: المحافظة على ذكره دائماً في كل  
الأوقات.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَبِيعُونَكَ  
لَمَتَّابِيَا يَعُونَ اللَّهُ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَتَ فَاِنَّمَا يَنْكُتُ  
عَلَى نَفْسِهِ عَوْ مِنْ أَوْ فِي يَمَا عَهْدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ١٠

البيعة أو المبايعه = هى أخذ الميثاق على الطاعة وإعطاء العهد عليها للإمام. والمراد بها هنا: «بيعة الرضوان» بالحديبية أو «بيعة الفداء»، وبيعة الرضوان هذه هى بيعة «الفداء» التى عقدها المسلمون مع رسول الله ﷺ على حرب قريش عندما أشيع يوم الحديبية بقتل عثمان رضى الله عنه، عندما وصلت هذه الشاعة إلى آذان المسلمين ثارت قلوبهم وضمموا على الانتقام من قريش ونادى منادى رسول الله ﷺ: البيعة.. البيعة..

فأقبل المسلمون مسرعين يجيبون داعى الله ورسوله ﷺ.

بايعوه على الثبات فى وجه قريش.. وعلى عدم الفرار من الزحف حتى ينصرهم الله، أو يموتوا شهداء.

وقد شرف الله هؤلاء المبايعين حيث جعل بيعتهم مع رسوله - ﷺ - بيعة معه جل وعلا.. وهذا يشعر بعلو قدره ﷺ حيث جعلت البيعة التى عقدت معه ﷺ بيعة مع الله عز وجل.

كما أن طاعته ﷺ طاعة لله تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) ..

## يد الله

ولعظم هذه البيعة زادها الله تأكيداً وتوثيقاً:

فجعل يده فوق يد كل مؤمن مبايع.

والأمر في هذا على سبيل التصوير والتمثيل.

وإلا فالله تعالى منزّه عن الجوارح.

ولله تعالى «يد» وردت بها آيات من القرآن فوجب علينا الإيمان بها

وإن لم نعرف معناها.

وفريق أول اليد وقال يد الله فوق أيديهم، أى: قدرة الله ونصرته وقوته

فوق قدرة المبايعين ونصرتهم..

وفريق من المفسرين قال: إن يد الله: أى نعمة الله عليهم بتوفيقهم

للهداية والمبايعة فوق نعمتهم وهى مبايعتهم له ﷺ.

فمن نكث: أى فمن نقض العهد الذى عقده مع النبى ﷺ فإن ضرر

ذلك راجع إليه ولا يضرّن إلا نفسه.

ومن أوفى: أى ومن وفى بعهد البيعة فله الأجر والثواب.

## الوفاء..

ولما كانت هذه البيعة عقدًا مبرمًا ورباطًا محكمًا مع الله، فقد جعل الله جزاء من أوفى بها الأجر العظيم..

﴿ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرًا عظيمًا﴾.

والهاء في (عليه) مضمومة في قراءة حفص.

قال صاحب كتاب (الكشف عن وجوه القراءات السبع):

قرأ حفص (عليه) بضم الهاء، أتى به على الأصل بوصل الهاء بواو.

ثم حذف الواو (لسكونها وسكون اللام بعدها، فبقيت الضمة).

وقرأ الباقر بالكسر: لأنهم أبدلوا من ضمة الهاء كسرة للياء التي

قبلها لأن الكسرة بالياء أشبه وهي أخف بعد الياء فانقلبت الواو ياء

وحذفت لسكونها وسكون اللام بعدها.

وقالوا: إن الهاء في «به» و«عليه» الهاء هي الاسم. لكن لما قلت

حروف الاسم هنا وكانت على حرف واحد، وذلك الحرف الواحد قليل

وضعيف فقووه بزيادة واو فقالوا: بهو وعليهو. وهذا هو الأصل.

كذلك قالوا: إن حجة من وصل الهاء بياء - إذا كان قبلها ياء - وهو

ابن كثير - أنه كسر الهاء للياء التي قبلها لحفاء الهاء، فلما كسرهما أبدل من

الواو التي زيدت. لتقوية الهاء: ياء إذ ليس في كلام العرب واو ساكنة قبلها

كسرة فقال: فيهي، وعليهي.

﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلْنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا  
 فَاسْتَغْفِرْنَا يَقُولُونَ أَيَسْتَنْهِيهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ مَنْ يَمْلِكُ  
 لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ  
 اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ نَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى  
 أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزَيَّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ ظَنَ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا  
 بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَنْ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَاِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ  
 سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ  
 وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٤﴾ ﴾

المخلفون من الأعراب :

هم قوم من الأعراب (سكان البوادي) كانوا من الضاريين خيامهم على مقربة من المدينة.

استنفرهم رسول الله ﷺ حين أراد الخروج إلى مكة معتمرًا. ولكن هؤلاء الأعراب لم يكن الإيمان قد تمكن في قلوبهم فلم يذهبوا معه وتخلفوا.

ورأوا أنه ﷺ لن يرجع هو وأصحابه إلى المدينة. وصورت لهم أذهانهم أنهم إن خرجوا معه فسيهلكون فيمن يهلك من

المسلمين، فتخلفوا عن رسول الله ﷺ ولم يذهبوا معه فسمى الله هؤلاء المتخلفين باسم «المخلفين».

أى: المتروكين. وذلك ذمًا لهم واحتقارًا لأمرهم، كأن الخارجين من المسلمين تركوهم خلفهم استهانة بهم واحتقارًا لهم، أو المخلفون، لأن الله خلّفهم عن سحبة نبيه.

يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم: أى كلامهم من طرف اللسان غير مطابق لما في القلب، فهو كذب صراح إذ لم يكونوا صادقين في اعتذارهم. وهذا هو النفاق الخالص.

اعتذار المخلفين: ولقد أوحى الله إلى رسوله ﷺ بموقف المخلفين فكشف له (وهو لم يرجع إليهم بعد) كشف له حقيقة أمرهم وكشف له ظنهم السيء بالمسلمين المجاهدين.

وأطلعه على ما سيعتذرون به إذا رجع المؤمنون إليهم من اعتذارات كاذبة ظنوا أنها تبعد عنهم عار التخلف والجن.

وكانت هذه الاعتذارات هي قولهم لرسول الله ﷺ إن أموالنا وأهلنا قد شغلونا عن الخروج معك إلى العمرة.

ولم يكن وراءنا من يقوم مقامنا ويخلفنا على رعايتها وحمايتها من الضياع.

وأردفوا هذه الاعتذارات بطلب الاستغفار من الرسول ﷺ إشارة منهم إلى أنهم معترفون بالتقصير... لقد كذبوا على الله ورسوله ﷺ وخيلت لهم أوهامهم أن تلك الأعذار الواهية تنطلي على الله ورسوله ﷺ.

وقد فضحهم المولى سبحانه وتعالى - وبين كذبهم في اعتذارهم.

وإن قولهم لم يصدر عن عقيدة، بل هو قول باللسان فحسب ﴿يقولون  
بألسنتهم ما ليس في قلوبهم﴾ فسجل عليهم المولى بذلك الخزي والوبال  
والخسران.

وكشف عن سوء ظنهم فقال لهم: إن السبب الحقيقي الذي حملكم على  
التخلف هو ظنكم أن لن يرجع الرسول والمؤمنون إلى أهلهم أبداً، وأنكم  
لو خرجتم معهم فلن تعودوا إلى المدينة وزين ذلك الظن في قلوبكم  
خوفكم من أهل مكة وحلفائهم.

وظننتم بالله ظن السوء، إذ سولت لكم أنفسكم أن الله تعالى لن ينصر  
نبيه ﷺ وكنتم قوماً بوراً: هالكين ضالين تستحقون الوبال والخسران.  
وقد أبان لهم المولى سبحانه أن ذهابهم مع الرسول ﷺ لا يغني عنه  
شيئاً، وأن تخلفهم عنه لا يضره شيئاً.

كما أن تخلفهم لا يفيدهم شيئاً في أموالهم وأهليهم وأنفسهم.  
وذهابهم لا ينقصهم شيئاً من أموالهم وأهليهم وأنفسهم إلا باذن الله.

وأمر المولى رسوله ﷺ أن يبلغهم بأن المولى خير بكل ما يظهرون  
وما يضمرون.

وكشف المولى سبحانه عن سرهم وسوء ظنهم فقال لهم: إن السبب  
الذي حملكم على التخلف هو ظنكم أن لن يعود الرسول ومن معه من  
المؤمنين إلى أهلهم أبداً.

وأنكم اعتقدتم أن الرسول ﷺ والمؤمنين سيقتلون وتتناصل شأفتهم  
فلا يرجعون إلى أهلهم أبداً.

وزين لكم الشيطان ذلك الظن حتى قعدتم عن صحبته.

وظننتم أن الله لن ينصر محمداً ﷺ وصحبه المؤمنين على أعدائهم.  
وكنتم بظنكم هذا مستوجبين سخط الله وشديد عقابه..

وبعد أن بين سبحانه وتعالى سوء ظنهم وضعف إيمانهم وضعف ثقتهم بالله  
أعلن حكماً نهائياً وقاعدة عامة، وهي:

أن من لم يجمع بين الإيمان بالله والإيمان برسوله عليه الصلاة والسلام  
فهو كافر وقد أعد الله للكافرين ناراً وسعيراً وعذاباً أليماً.

ولله ملك السموات والأرض: والله السلطان والتصرف في السموات  
والأرض فلا يقدر أحد أن يدفعه عما أراد بكم من تعذيب على نفاقكم إن  
أصرتم عليه أو عفو عنكم إن أنتم تبتم من نفاقكم وكفركم.

وهذا حسم لأطماعهم في استغفاره ﷺ لهم وهم على هذه الحال.

ثم أطمعهم في مغفرته وعفوه أن تابوا وأنابوا إليه فقال: وكان الله  
غفوراً رحيمًا يغفر للتائبين ويرحمهم إذا أنابوا إليه وأخلصوا العمل له.

﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ  
لِتَأْخُذُوا هَذَا رُونا تَتَّبِعْكُمُ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ  
تَتَّبِعُونَا كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْنُدُونَ أَبْكَاناً  
لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ ﴾

المغانم: مغانم خيبر.

فإنه ﷺ رجع من الحديبية في ذى الحجة من السنة السادسة الهجرية،  
وأقام بالمدينة بعد ذى الحجة وأوائل المحرم.

ثم غزا خيبر - بمن شهد الحديبية فقط - ففتحها في أوائل السنة  
السابعة هـ - وغنم منها أموالاً كثيرة خصهم بها ثم كانت غزوة «تبوك»  
بعد خيبر.

ذرونا: دعونا واتركونا تتبعكم ونشهد معكم غزوة خيبر.

قل لن تتبعونا: إلى خيبر.

كذلك قال الله من قبل.

سيقول لك الذين تخلفوا عنك في عمرة الحديبية وتعللوا بانشغالهم  
بأهلهم وأموالهم، سيقولون: دعونا تتبعكم ونسير معكم إلى غزو خيبر حين  
توقعوا ما سيكون فيها من مغانم.

(وفي هذا وعد للمبايعين الموقنين بالغنيمة، وللمتخلفين بالحرمان).

يريدون أن يبدلوا كلام الله: أى: وعد الله فإن الله تعالى وعد أهل  
الحديبية وحدهم بمغانم خبير لا يشاركون فيها غيرهم من الأعراب.  
وقد جاء فى صحيح البخارى «ان الله وعد أهل الحديبية أن يعرضهم  
من مغانم مكة مغانم خبير إذا قفلوا مواعين لا يصيبون شيئاً».  
ثم أمر الله رسوله ﷺ أن يقول لهم إقناطاً وتينيساً من الذهاب إلى  
خبير:

قل لن تتبعونا: لا تأذن لهم فى الخروج معك، معاقبة لهم فإن امتناعهم  
عن الخروج إلى الحديبية ما حصل إلا لأنهم كانوا يتوقعون المغرم،  
ولا يتوقعون المغنم فلما انعكست الآية فى خبير طلبوا المغنم فعاقبهم الله  
بطردهم من المغانم.

ثم أكد هذا المنع بقوله:

كذلك قال الله من قبل: أى هكذا قال الله لنا من قبل مرجعنا من  
الحديبية إليكم: إن غنيمة خبير لمن شهد الحديبية معنا، ولستم ممن شهدها  
فليس لكم أن تتبعونا لأن غنيمتها لغيركم.  
فسيقولون بل تحسدوننا: أى أن ذلك ليس بقول الله (هكذا يقول  
المخلفون للمؤمنين) بل هو قولكم أتم حسداً من عند أنفسكم...  
من بعد ما تبين لكم ما نعنا به من الراحة أثناء سفركم إلى الحديبية  
وتحسدوننا أن نصيب معكم مغنماً.

وردَّ عليهم المولى سبحانه اتهام رسوله وصحبه بالحسد، فقال:

بل كانوا لا يفقهون إلا قليلاً:

أى ما الأمر كما يقول هؤلاء المنافقون من الأعراب من أنكم تمنعونهم

عن اتباعكم حسداً منكم لهم بل إنما لأنهم لا يفقهون من أمر الدين  
إلا قليلاً ولو فقهوا ما قالوا ذلك.

وهؤلاء المخلفون، عاقبهم الله على تخلفهم عن الحديبية بحرمانهم من  
الجهاد في خير فقط، ثم سَوَّغَ لهم فيما بعد أن يخرجوا مجاهدين في سبيل  
الله.

﴿ قُلِ الْمُتَّابِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَأُدْعُونَ إِلَى  
 قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ يُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّوْنَ عَلَيْهِمْ فَإِنْ تَوَلَّوْا يُؤْتِكُمْ اللَّهُ أَجْرًا  
 حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٥﴾ ﴾

كان لحرمان المخلفين من مغانم خيبر درس قاس وعظة بالغة في نفوسهم.

وقد فتح الله باب التوبة لهم.. عندما أمر رسوله ﷺ أن يخبرهم بحدوث حرب شديدة وسيدعون إلى الاشتراك في هذه الحرب، ومقاتلة قوم شديدي القوى لهم خبرة بالمعارك ولهم شكيمة قوية في القتال وفنون الحرب. تحاربونهم على أحد أمرين: أما القتال وإما أن يسلموا..

فإن بذلتم أنفسكم وأرواحكم في سبيل الله فسيكفل الله لكم الثواب العظيم في الدنيا والآخرة، وإن تردتم وتراجعتم وتوليتهم كما توليتهم من قبل في يوم الحديبية، فقد حقت عليكم كلمة العذاب واستوجبتم من الله العذاب المؤلم والرجز الشديد.

المراد بالقوم أولى البأس الشديد:

وقيل: هوازن وغطفان (في غزوة حنين).

وقيل: هم بنو حنيفة أصحاب مسيلمة الكذاب وغزاهم أبو بكر.

وقيل: أهل فارس والروم الذين غزاهم عمر.

وقال ابن جرير: «إنه لم يبق دليل من نقل ولا من عقل على تعيين

هؤلاء القوم فلندع الأمر على إجماله دون حاجة إلى التعيين».

والبأس: شدة المراس في القتال.

وقال صاحب كتاب «سورة الفتح» الدكتور الكومى: في هذه الموقعة - موقعة حنين - تتجلى دعوة المخلفين إلى القتال، كما تتجلى قوة هوازن ويصدق عليهم أنهم قوم أولو بأس شديد وكذلك يتجلى نصره سبحانه للمؤمنين الذين وعدهم به في قوله ﴿تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ﴾ فإن هوازن ما لبثوا أن جاءوا مسلمين بعد أن تشتت شملهم وتفرق جمعهم، وسيبت نساؤهم وغنمت أموالهم».

### يوم حنين

أقام المسلمون بمكة بعد أن فتحوها - خمسة عشر يوماً - فرحين بنصر الله وبينها الرسول عليه الصلاة والسلام يفتق أهل مكة في الدين وينظم شئون الدعوة والمسلمين.. وفيها هو كذلك كانت هوازن وثقيف قد استعدوا لقتال المسلمين فبثوا قواهم في جبال وشعاب مدينة (حنين).. وعلم ﷺ نبأ استعدادهم فخرج إليهم بالجيش الذى فتح به مكة دون أن يتخلف من جنوده أحد، وانضم إلى جيش المسلمين ألفان من أهل مكة فكان عدد الجيش الإسلامى قرابة اثني عشر ألف مقاتل، ولتجه الجيش الإسلامى إلى مضيق حنين.. وقد أعجب كثير من المسلمين بقوتهم حتى قالوا: لن نغلب اليوم عن قلة.. والتقى المسلمون بهوازن وثقيف في عمية الصبح.. وانهالت النبال على المسلمين من كل ناحية وارتاع المسلمون.. وفوجئوا بنبال هوازن وثقيف وكانوا رماة ذوى مهارة حربية ودراية ب فنون القتال، وانهمز

المسلمون.. وفروا.. وثبت رسول الله ﷺ في نفر من أهل بيته.. ثم عاد المسلمون مستبسلين في الدفاع حول رسول الله ﷺ.

وسرعان ما تبدد شمل الكفار وانهمزوا مخلفين وراءهم قتلى وجرحى وأموالاً غنمها المسلمون.

وعن ذلك يقول الله في سورة التوبة ﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين، ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين﴾.

﴿لَيْسَ

عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ يَطِيعِ  
اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ مَنْ يَتَوَلَّ يَعدِّدْهُ

عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٧﴾ • ﴿

في هذه الآية الشريفة ذكر الأعذار المبيحة للتخلف عن الجهاد:

منها: ما هو عذر لازم كالعمى والعرج.

ومنها ما هو عارض يطرأ ويزول كالمرض.

والحرج: الإثم والذنب.

يقول المولى: لا إثم على ذوى الأعذار إذا تخلفوا عن الجهاد وشهود

الحرب مع المؤمنين.

ثم رغب سبحانه في الجهاد وطاعة الله ورسوله. وأوعد على تركه فقال:

ومن يتول (أى يعرض عن القتال والجهاد) يعذبه عذاباً أليماً.

﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرِ  
 فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٨٠﴾  
 وَمَغَازٍ كَثِيرَةٍ يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٨١﴾ ﴾

الرضا: ما يقابل السخط.

المؤمنين: أهل الحديبية: ورضاه عنهم لمبايعتهم رسوله ﷺ تحت ظلال  
 شجرة الطلح وهي المعروفة بالسنت.

يبايعونك: هي بيعة الرضوان (وكانت بالحديبية).

ما في قلوبهم: من الصدق والإخلاص في المبايعة.

السكينة: الطمأنينة.

أثابهم: عوضهم (بدلاً مما رجوه من الظفر بغنائم أهل مكة).

فتحاً قريباً: هو فتح خيبر عقب انصرافهم من الحديبية. كان في السنة  
 السادسة من الهجرة بعد انصراف المسلمين من الحديبية بشهرين.

مغانم كثيرة: هي مغانم خيبر، وكانت خيبر أرضاً ذات عقار وأموال  
 قسمها رسول الله ﷺ بين المقاتلين، وكانت بين الحديبية ومكة.

قال سيد قطب: ﴿ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾: هو هذا الصلح بظروفه التي  
 جعلت منه فتحاً، وجعلته بدء فتوح كثيرة، قد يكون فتح خيبر واحداً منها،  
 كما ذكره أغلب المفسرين.

ومغانم كثيرة يأخذونها: إما مع الفتح إن كان المقصود فتح خيبر، وإما  
تالياً له، إن كان الفتح هو هذا الصلح.

\* \* \*

بعد أن بيَّنَّ حال المخالفين فيما سلف.  
عاد في هذه الآيات إلى بيان حال المبايعين، فأبان رضاه عنهم:

﴿ وَعَدَّكُمْ ﴾

اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ  
وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿١٥﴾ ﴿

مغانم كثيرة تأخذونها: أى وعدكم الله مغانم كثيرة من غنائم أهل  
لشرك إلى يوم القيامة ولكن عجل لكم هذه: أى مغانم خير، فالغنائم  
عامة شاملة منها المعجل: كغنائم خير، ويوم حنين في عهده ﷺ، ومنها  
المؤجل: كفتح فارس والروم وما وراءهما من أقطار في عهد الصحابة.

فعجل لكم هذه: أى غنائم خير.

وأشار (بهذه) كأنها حاضرة محسة.

وقيل: صلح الحديبية لأن هذا الصلح هو الذى عجله الله للمسلمين.  
وكف أيدى الناس عنكم: أى أيدى أهل خير فانتصرتهم عليهم وعلى  
حلفائهم أسد وغطفان.

وقيل: أيدى أهل مكة كفهم عنكم بالصلح.

ولتكون: أى هزيمتهم وسلامتكم. وقيل حادثة صلح الحديبية.

آية: عبرة يعرف بها المؤمنون أن الله ناصرهم وحارسهم.

ويعرفون بها صدق الرسول ﷺ فيما أنبأهم به من دخول المسجد

الحرام.

ولم تقض الأيام حتى تبين للمؤمنين أن صلح الحديبية كان خيراً لهم وشرّاً على المشركين.

وهديكم صراطاً مستقيماً: جزاء طاعتكم وامثالكم.

إن الله وعدكم مغانم تقدرّون الآن على أخذها!

وأيضاً وعدكم مغانم أخرى تعجزون الآن عن أخذها ولكن الله تعالى قد حفظها لكم، ولا بد أن تأخذوها في المستقبل القريب أو البعيد. وكان الله على كل شيء قديراً فلا يعجز أن يهبكم من الغنائم فوق ما تتصورون.

ويقول سيد قطب عند تفسير قوله تعالى ﴿وأخرى لم تقدروا عليها..﴾ يقول:

تختلف الروايات في هذه الأخرى:

أهى فتح مكة؟ أهى فتح خيبر؟ أهى فتوح مملكتى كسرى وقيصر؟ أهى فتوح المسلمين التى تلت هذه الواقعة - وقعة الحديبية - جميعاً؟.

وأقرب ما يناسب السياق أن تكون هى فتح مكة - بعد صلح الحديبية - وبسبب من هذا الصلح الذى لم يدم سوى عامين، ثم نقضه المشركون ففتح الله مكة للمسلمين بلا قتال تقريباً، وهى التى استعصت عليهم من قبل وهاجتمهم فى عقر دارهم، وردتهم عام الحديبية.

ثم أحاط الله بها، وسلمها لهم بلا قتال.

وكان الله على كل شيء قديراً، فهذه بشرى ملفوفة فى هذا الموضع لم يحددها، لأنها كانت عند نزول هذه الآية غيباً من غيب الله.. أشار الله إليه هذه الإشارة لبث الطمانينة والرضى والتطلع والاستبشار».

﴿ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ ١١ ﴿

ووعدكم الله فتح بلاد أخرى لم تقدرُوا عليها، قد حفظها لكم حتى تفتحوها - كفارس والروم - أقدركم عليها بعز الإسلام، وقد كنتم قبل ذلك مستضعفين.

أحاط الله بها: قدر عليها وأظهركم عليها.

وقال بعض المفسرين:

وأخرى: أى هناك مغانم أخرى مؤجلة لم تقدرُوا عليها: فوق مجال قدرتكم وقوتكم، هى مغانم «هوازن» يوم حنين.

أحاط الله بتلك المغانم وقدر عليها، فهى فى قبضة قدرته، وسيمنن المؤمنين منها ويظهرهم عليها.

وقد كانت مغانم المسلمين من هوازن أعظم من أى غنيمة سبقتها، فإن هوازن قد استاقت يوم حنين كل ما تملك من مال وأنعام وأطعمة..

وجعلت جميع نساؤها وأولادها من خلفهم، حتى لا يهزموا، فلم يغن عنهم ذلك شيئاً، وهزمهم المسلمون وغنموا ٢٢ ألفاً من الإبل و ٤٠ ألفاً من الشياه، وأربعة آلاف أوقية من الفضة، و ٦ آلاف من السبايا، والعديد من السلاح والمتاع.

﴿ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا لَاصْبِرْتُمْ وَلَا تَحْتَدُونَ وَلِيَا وَلَا نَصِيرًا ﴿١١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ  
الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿١٢﴾ ﴿

يقول سيد قطب: وهكذا يربط نصرهم وهزيمة الكفار بسنته الكونية التي لا تتبدل.

هي سنة دائمة لا تتبدل.. ولكنها قد تتأخر إلى أجل، ولأسباب قد تتعلق باستواء المسلمين على طريقهم وباستقامة المسلمين الاستقامة التي يريدتها الله لهم. أو تتعلق بتهيئة الجو الذي يولد فيه النصر للمؤمنين والهزيمة للكافرين لتكون له قيمته وأثره. أو لغير هذا. ذلك مما يعلمه الله.. ولكن السنة لا تتخلف.

قال قتاده: ولو قاتلكم الذين كفروا: يعني كفار قريش في الحديبية.

وقيل: ولو قاتلكم: غطفان وأسد والذين أرادوا نصره أهل خيبر.

لولا الأديار: لكانت الدائرة عليهم.

سنة الله: أي هذه هي سنة الله في خلقه، ما تقابل الكفر والإيمان في

موطن إلا نصر الله المؤمنين على الكافرين.

﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ

أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٥٣﴾ ﴿

كَفَّ: منع.

أيديهم: أيدي أهل مكة.

بطن مكة: في بطن مكة ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الحديبية. قاله أنس. والثاني: وادي مكة. قاله: السدي. والثالث: التنعيم. حكاه أبو سليمان الدمشقي. (والتنعيم موضع بمكة في الحل)، وعلى هذه التفسيرات الثلاث يمكن أن يوجه تفسير الآية على النحو التالي:

١ - روى أنس بن مالك أن ثمانين رجلاً من أهل مكة هبطوا على رسول الله، ﷺ، من جبل التنعيم متسلحين، يريدون غرة النبي ﷺ وأصحابه، فأخذهم سلباً، فاستحياهم. فأنزل الله هذه الآية. فيكون المراد ببطن مكة: جبل التنعيم.

٢ - وأما صاحب التسهيل في علوم التنزيل، فقد روى في سبب نزول هذه الآية قولاً آخر، فقال: أن جماعة من فتيان قريش خرجوا إلى الحديبية ليصيبوا من عسكر رسول الله ﷺ، فبعث إليهم رسول الله ﷺ جماعة من المسلمين فهزموهم، وأسروا منهم قوماً، وساقوهم إلى رسول الله ﷺ فأطلقهم. فكف أيدي الكفار هو: هزيمتهم وأسرههم، وكف أيدي

المؤمنين عن الكفار هو إطلاقهم من الأسر وسلامتهم من القتل، وعلى هذا الرأي يكون المراد ببطن مكة: الحديبية.

٣ - وروى إسحاق عن ابن عباس، رضى الله عنه، أن قريشا بعثوا أربعين رجلاً منهم، أو خمسين، وأمرهم أن يتجهوا إلى عسكر رسول الله ﷺ، ليصيبوا من أصحابه أحداً، فأخذوا أحداً، فأتى بهم إلى رسول الله ﷺ، فعفا عنهم، وخلي سبيلهم، وقد كانوا قد رموا عسكر رسول الله ﷺ بالحجارة والتبل، وفي ذلك أنزل المولى قوله: ﴿وهو الذى كف أيديهم عنكم...﴾ الآية.

ويقول ابن كثير: وفي هذه الآية امتنان من الله تعالى على عباده المؤمنين حين كف أيدي المشركين عنهم، فلم يصل إليهم منهم سوء، وكف أيدي المؤمنين عن المشركين فلم يقاتلوهم عند المسجد الحرام، بل صان الفريقين وأوجد بينهم صلحاً فيه خير للمؤمنين وعاقبة لهم في الدنيا والآخرة. فيكون المراد ببطن مكة: وادى مكة.

٤ - وبعض المفسرين المحدثين يقول في كتابه التفسير القرآنى للقرآن عند تفسير هذه الآية: والذي نراه أن هذا إنما كان يوم الفتح حيث دخل النبي ﷺ مكة على رأس جيش من عشرة آلاف مقاتل، وأن قريشاً قد فزعت لهذا واستسلمت من غير قتال طالبة الأمان من رسول الله ﷺ، بعد أن مكن الله له من رقابهم.

فقال لهم رسول الله ﷺ قولته الخالدة: ما تظنون أنى فاعل بكم، فكان جوابهم للنبي عليه الصلاة والسلام هذا الجواب الذليل المستسلم: أخ كريم وابن أخ كريم! فقال: اذهبوا فأنتم الطلقاء..

ثم يقول الأستاذ عبد الكريم الخطيب صاحب كتاب التفسير القرآنى للقرآن يقول بعد أن عرض رأيه هذا:

ولا يعترض على هذا الرأى الذى ذهبنا إليه بأن الآية تحدثت عن أمر وقع فعلاً فى قوله تعالى: ﴿كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم..﴾ بلفظ الماضى. ثم يجيب قائلاً:

والجواب عن هذا من وجهين: أولهما: أن الإخبار عن المستقبل بالفعل الماضى إشارة إلى تحققه، وأنه إن لم يكن قد وقع، فهو واقع لا شك فيه. وثانيهما: أنه قد تكون هذه الآية قد نزلت بعد فتح مكة ثم أخذت مكانها من السورة لتكون إلى جانب أحداث الحديبية التى تلقى فيها الرسول ﷺ قوله تعالى: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ فهذا الفتح يطوى فى كيانه فتح مكة، وإن كان فتحها لم يقع بعد..

والحق أن رأى الأستاذ الخطيب هذا ليس بالرأى الجديد، فقد سبقه إليه العلامة الماوردى وقد سجل ذلك الإمام القرطبى عندما قال: قال الماوردى: «وفى قوله ﴿من بعد أن أظفركم عليهم﴾ بفتح مكة، وتكون هذه نزلت بعد فتح مكة، وفيها دليل على أن مكة فتحت صلحاً، لقوله عز وجل ﴿كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم﴾..

وبعد أن عرض الإمام القرطبى هذا الرأى قال: قلت: الصحيح أن هذه الآية نزلت فى الحديبية قبل فتح مكة، ثم يقول: وأما فتح مكة فالذى تدل عليه الأخبار أنها فتحت عنوة.

يقول صاحب ظلال القرآن:

كذلك بين الله عليهم بكف أيدي المشركين عنهم، وكف أيديهم عن المشركين من بعد ما أظفرهم على من هاجمهم، مشيراً بذلك إلى ذلك الحادث الذى أراد أربعون من المشركين أو أكثر أو أقل أن ينالوا من معسكر المسلمين فأخذوا، وعفا عنهم رسول الله ﷺ.

وهو حادث وقع، يعرفه السامعون، والله يذكره لهم في هذا الأسلوب ليرد كل حركة وكل حادث وقع لهم إلى تدبيره المباشر، وليوقع في قلوبهم هذا الإحساس المعين بيد الله سبحانه وهي تدبير لهم كل شيء وتقود خطاهم كما تقود خواطرهم، ليسلموا أنفسهم كلها لله بلا تردد ولا تلفت، ويدخلوا بهذا في السلم كافة بكل مشاعرهم وخواطرهم، موقنين أن الأمر كله لله، وأن الخير في ما اختاره الله.

فاذا استسلموا له تحقق لهم الخير كله من أيسر طريق، وهو بصير بهم، ظاهرهم وخافيتهم، فهو يختار لهم عن علم وعن بصر ولن يضيعهم، ولن يضيع عليهم شيئاً يستحقونه ﴿وكان الله بما تعملون بصيراً﴾.

﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ  
 عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْمَدْيِ مَعَكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالُ الْمُؤْمِنُونَ  
 وَالنِّسَاءُ الْمُؤْمِنَاتُ لَرْتَقَلُوا هُمْ أَنْ تَطُوهُمْ فَاصْبِرْ كَمَا تَنْتَهُم مَعْرَةً  
 بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ زَيَّلُوا الْعَذَابَ الَّذِينَ  
 كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ ﴿

هم الذين كفروا: أى قريشا منعوكم دخول المسجد الحرام عام  
 الحديبية حين أحرم الرسول عليه الصلاة والسلام مع أصحابه بعمره.  
 الهدى: ما يهدى إلى الكعبة، وما يُقَدَّم قرباناً لله حين أداء مناسك الحج  
 أو العمرة. وكان الهدى سبعين بدنة (جملاً). وهو منصوب عطفاً على  
 الضمير فى صدوكم.

وقال بعض الصحابة: نحرنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية البدنة عن  
 سبعة والبقرة عن سبعة.

معكوفاً: محبوساً عن أن يباع، وانتصابه على الحال من الهدى، الهدى  
 محبوس على هذه الغاية وموقوف عليها فلا يتصرف فيه ببيع ولا بغيره.  
 أن يبلغ محله: أى محل نحره، وذلك: دخول الحرم.. والموضع الذى إذا  
 سار إليه حل نحره..

فمحله: هو مكانه الذى يحل فيه نحره وهو (منى) أو (مكة).

محلّه (منحره) ومحلّ الشئء (بالكسر): غايته ومحلّ (بالفتح): هو المكان الذى يحلّ فيه الناس. أن تطئوهم: الوطء: الدوس المراد بالوطء.. الإهلاك. بغير علم: أى غير عالين بهم. منهم: من جهتهم.

المعرّة: المذمة والمكروه والمشقة: (وأصل المعرة مأخوذ من العر وهو الجرب: وذلك أن المشركين سيقولون قد قتلوا أهل دينهم).

ولكن هذا القول ضعيف لأن المشركين لا يعلمون بالمسلمين الذين أخفوا إيمانهم. وأحسن منه: الذى قال: «منهم: أى من المسلمين الذين يسرون إيمانهم فهم يتوجهون باللوم للذين قتلوهم وقد خفى عليهم إيمانهم».

تزيّل: تفرّق: وتميز الكفار من المؤمنين الذين بين أظهرهم وانفصل هؤلاء المؤمنين والمؤمنات عن المشركين لعذب الله الكافرين منهم بعذاب من عنده، ولكن الله سبحانه حماية للمؤمنين والمؤمنات، ودفعاً لما يلحقهم من مكروه إذا أنزل العذاب بهؤلاء المشركين الذين يخالطون المؤمنين لم ينزل عذابه فى الدنيا بهم وأنظرهم إلى يوم الدين وأمهلهم إلى يوم الحساب.

رحمته: المراد بالرحمة هنا: الإسلام. وقيل: الجنة.

وجواب لولا محذوف: تقديره لأذن الله لكم فى دخول مكة ولسلطكم عليهم وعذبهم على أيديكم، وليدخل: اللام متعلقة بمحذوف تقديره ولكن لم يأذن لكم.

وكف أيديكم: ليدخل الله فى رحمته بذلك من يشاء من عباده وهم المؤمنون الذين كانوا فى مكة.

وقيل: لم يأذن الله لكم في قتال المشركين ليسلم بعد الصلح من قضى الله عليه أن يسلم من أهل مكة. (وقد أسلم الكثير منهم وحسن إسلامه ودخلوا في رحمته أى جنته).

بعد أن بين فيما سلف أن الله كف أيدي المؤمنين عن الكافرين وكف أيدي الكافرين عن المؤمنين... عين هنا، مكان الكف، وهو البيت الحرام الذى صدوا المؤمنين عنه، ومنعوا الهدى..

ثم أخبرهم بأنه لولا أن يقتلوا رجالاً مؤمبين ونساء مؤمنات لا علم لهم بهم فيلزمهم العار والإثم لأذن لهم في دخول مكة.

وقد كان بمكة قوم من المسلمين مختلطين بالمشركين غير متميزين منهم ولا معروفى الأماكن؛ لأنهم كتموا إيمانهم خوفاً من أعداء الإسلام، ولو دارت رحى الحرب لأصاب ضررها المسلم، والكافر فرميا يقتل المسلم أخاه المسلم الذى يكتم إيمانه وهو يظن أنه قتل كافراً، وفي ذلك ما فيه من المشقة على المسلمين.

وأن أعداء الدين يتخذون من ذلك وسيلة للطعن والتشهير بأن المسلمين يقتل بعضهم بعضاً.

والله سبحانه وتعالى كف الأيدي عن القتال في فتح مكة لأنه يعلم أن بعض أهلها المشركين سيهدون ويسلمون.

وكانت حكمة الله شاملة في عدم دخول المؤمنين مكة يوم الحديبية دخول الفاتح القاهر بعد أن كانت الحرب قاب قوسين أو أدنى.

لو تزيلا وتميز الكفار من المؤمنين الذين بين أظهرهم لسلطانكم عليهم فقتلتموهم قتلاً ذريعاً.

يقول سيد قطب: لقد كان هناك بعض المستضعفين من المسلمين في مكة

لم يهاجروا، ولم يعلنوا إسلامهم تقية في وسط المشركين، ولو دارت الحرب  
وهاجم المسلمون مكة وهم لا يعرفون أشخاصها فرجبا ووطنهم وداسوهم  
وقتلوهم، فيقال: إن المسلمين يقتلون المسلمين.

ثم هناك حكمة أخرى وهى أن الله يعلم أن من بين الكافرين الذين  
صدوهم عن المسجد الحرام من قسمت له الهداية، ومن قدر له الله الدخول  
في رحمته، ولو تميز هؤلاء وهؤلاء لأذن الله للمسلمين في القتال ولعذب  
الكافرين العذاب الأليم.

﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ  
 الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَةً عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى  
 الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحْسَبًا وَأَهْلًا  
 وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٧﴾ ﴾

إذ جعل: إذ ظرف متعلق بفعل تقديره: أذكر وقت أن جعل.. وقيل  
 متعلق بعذبنا: أي لعذبناهم حين جعلوا في قلوبهم الحمية.

الحمية: الأنفة. (ثوران قوة الغضب) والاستكبار والاستنكاف جعلوها:  
 نابتة راسخة في قلوبهم.

والحمية: الغيرة والأنفة وهي محمودة إذا كانت في جانب الحق والعدل  
 والإحسان، ومذمومة إذا كانت في جانب الهوى والسفه والضلال.

وحمية الجاهلية: حمية استعلاء وتناول بغير حق لا يضبطها عقل  
 ولا تقودها حكمة.

وحمية الجاهلية حمية في غير موضعها منشؤها الجهل، فهي ثورة غضبية  
 يثيرها الكبرياء الكاذب، والتشدد والتعنت.

وذلك حين أبوا أن يكتبوا: بسم الله الرحمن الرحيم وحين أبوا أن  
 يكتبوا: هذا ما قضى عليه محمد رسول الله.

وحين امتنعوا عن الدخول في الإسلام.

وأنفتهم من الإقرار بالرسول بالرسالة: ولقد أثارت هذه الحمية التي أبدأها سهيل (سفير الصلح) في شروط الصلح أثارت غضب المسلمين حتى لقد همَّ المسلمون أن يبطشوا به وبمن معه، فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين فعصمهم من الفتنة فحلموا..

سكينته: التثبيت والطمأنينة وثبتهم على الرضا والتسليم ولم يدخل في قلوبهم ما أدخل قلوب أولئك من الحمية.

وألزمهم: اختار لهم.. أى للمسلمين. وخصهم. كلمة التقوى:

١ - لا إله إلا الله: «كلمة التوحيد». قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم منى ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله عز وجل».

٢ - لا إله إلا الله محمد رسول الله. قال ابن عباس: شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله هي رأس كل تقوى. وإضافة الكلمة إلى التقوى: أنها سبب التقوى وأساسها، وهي التي يتقى بها من الشرك.

٣ - وقال مجاهد: هي لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

٤ - وقال الزهري: هي: بسم الله الرحمن الرحيم: يعنى أن المشركين لم يقرؤا بها، فخص الله بها المؤمنين.

وكانوا أحق بها: أولى وأجدر من الكفار لأنهم (أى المؤمنين) كانوا أعلم بالله لقول الله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾

وأهلها: المستأهلين لها. الذين حملوا كلمة الإخلاص وكلمة التوحيد وكلمة الله العليا.. حملوا الشهادة وباعوا أنفسهم رخيصة في سبيل نشرها

وإعلانها ورعوها حق رعايتها فاستحقوا من الله جميل المثوبة وجليل الأجر.

أهلهم الله سبحانه لدينه وصحة رسوله ﷺ.

وكان الله بكل شيء عليماً: عليم بمن يستحق الخير فيسوقه إليه، فهو يعلم أهل كلمة التقوى والمستحقين لها فيعطى كل ذي حق حقه.

يقول سيد قطب في ظلال القرآن:

«وتمضي - الآيات - في وصف الذين كفروا، وصف نفوسهم من الداخل، بعد تسجيل صفتهم وعملهم من الظاهر فتقول ﴿إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية﴾ حمية، لا لعقيدة.. ولا لمنهج، إنما هي حمية الكبر والفخر والبطر والتعنت..

الحمية التي جعلتهم يقفون في وجه رسول الله ﷺ ومن معه يمنعونهم من المسجد الحرام، ويحبسون الهدى الذي ساقوه أن يبلغ محله الذي ينحر فيه، مخالفين بذلك عن كل عرف وعن كل عقيدة كي لا تقول العرب: إنه دخلها عليهم عنوة.

ففي سبيل هذه النعرة الجاهلية يرتكبون هذه الكبيرة الكريمة في كل دين.

وينتهكون حرمة البيت الحرام الذي يعيشون على حساب قداسته وينتهكون حرمة الأشهر الحرم التي لم تنتهك في جاهلية ولا إسلام:

هي الحمية التي تبدت في رد سهيل بن عمرو لاسم الرحمن الرحيم، ولصفة رسول الله ﷺ في أثناء الكتابة.. وهي كلها تنبع من تلك الجاهلية المتعنتة.

أما المؤمنون فقد حماهم من هذه الجاهلية وأحل محلها السكينة والتقوى.

ومن ثمَّ كان المؤمنون أحق بكلمة التقوى، وكانوا أهلها.

وهذا ثناء آخر من ربهم عليهم، إلى جانب الامتنان عليهم بما أنزل على قلوبهم من سكينة وما أودع فيها من تقوى، فهم قد استحقوها في ميزان الله، وبشهادته،

وهو تكريم بعد تكريم، صادر عن علم وتقدير ﴿وكان الله بكل شيء عليماً﴾.

﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ  
لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ يَلْمِزِينَ الْمُحْلِفِينَ وَرُؤْسَكُمْ  
وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٧﴾  
هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَ مَوْلَى الَّذِينَ كَفَرُوا  
وَلَقَدْ يَافَىٰ شَيْبًا ﴿٨﴾ ﴾

قال الخطيب في تفسيره: ﴿ لقد صدق.. ﴾ هذا رد من الله سبحانه على ما وقع في نفوس بعض المسلمين من مشاعر القلق، والضيق والاهتمام، لما فاتهم من دخول المسجد الحرام يوم الحديبية، وقد جاءوا إليه وهم على يقين من أنهم داخلوه تصديقاً للرؤيا التي رآها النبي ﷺ وأخبرهم بها. فقوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق: تصديق لرؤيا الرسول الكريم، وأنها رؤيا من الله وأنها الصدق المطلق والواقع المحقق، وإن كان تأويلها لم يجيء بعد..

صدق الله رسوله ﷺ: أي صدقه في رؤياه ولم يكذبه. الرؤيا: هي رؤيا منام وحلم.

ورؤيا الأنبياء حق. والرؤيا أحد وجوه الوحي إلى الأنبياء. بالحق: بالصدق، أي صدقه الرؤيا ملتبسة بالحق فلم تكن من أضغاث الأحلام بل حقيقية.

لتدخلن: اللام واقعة في جواب قسم مقدر وتقديره، والله (فاللام موطئة للقسم) والله لتدخلن في العام القادم  
 آمنتين: من العدو. وانتصب على الحال من فاعل لتدخلن.  
 محلقتين رهوسكم: حلق شعر الرأس: إزالته.  
 ومقصرين: التقصير إزالة بعض شعر الرأس.  
 لا تخافون: في محل نصب على الحال. وفيه تأكيد لآمنتين.  
 فعلم ما لم تعلموا: علم ما لم تعلموا من المصلحة في الصلح.  
 لما في دخولكم في عام الحديبية من الضرر على المستضعفين من المؤمنين.  
 وعلم ما لم تعلموا من الحكمة والصواب في تأخير دخولكم مكة إلى العام القادم.

(ولقد كان الله قادراً على أن يحقق للرسول ﷺ رؤياه في عامه هذا فيفتح له السبيل إلى الطواف وزيارة البيت الحرام، ولا يعرضه هو وأصحابه إلى ما احتملوه من جهد وعناء، لكنه سبحانه وتعالى أجل تحقيق الرؤيا لما سبق في علمه من أن في التأجيل حكماً بالغة ونعماً جليلة.. لقد كان هذا التأجيل امتحاناً للقلوب، وإظهاراً للمنافقين الذين تنزلت عقائدهم وارتابت قلوبهم.. هؤلاء الذين شهدوا الحديبية ولم يبايعوا بيعة الرضوان.. كعمرو بن عوف وابن قيس الأنصاري فقد اختبأ وراء بعير حتى فرغ الناس من البيعة، وعبد الله بن أبي أعتل بالمرض ولم يبايع).  
 فجعل من دون ذلك: أي من دون دخولكم مكة: كما أرى رسوله.  
 فتحاً قريباً: هو صلح الحديبية (وهو قول أكثر المفسرين).  
 قال الزهري: لا فتح في الإسلام كان أعظم من صلح الحديبية، ولقد

دخل في تلك السنتين في الإسلام مثل من كان قد دخل فيه قبل ذلك بل، أكثر فإن المسلمين كانوا في سنة ست (وهي سنة الحديبية) ١,٤٠٠ وكانوا في سنة ثمان ١٠,٠٠٠.

وقيل هو: فتح خيبر.

هو الذي أرسل رسوله:

بالمهدي: بالقرآن أو بالبيان الواضح، (أى إرسالاً متلبساً بالمهدي).

ودين الحق: دين الإسلام.

ويحتمل أن يكون الحق اسم الله تعالى فكأنه قال بالمهدي ودين الله.

ليظهره: ليعلى الإسلام.

على الدين كله: على الأديان المختلفة، فينسخ الأديان ويظهر دين الإسلام على كل الأديان ويبطل به الملل كلها حتى لا يكون دين سواه.

وكفى بالله شهيداً: شهد الله على نفسه أنه سيظهر دينه. والباء زائدة. والمعنى كفى الله شهيداً على هذا الإظهار الذي وعد المسلمين به وعلى نبوة نبيه، ﷺ.

قال الحسن: شهد لك على نفسه أنه سيظهر دينك على الدين كله.

قال ابن جرير: وهذا إعلام من الله تعالى نبيه، ﷺ، والذين كرهوا الصلح يوم الحديبية - أن الله فاتح عليهم مكة وغيرها من البلدان، مسلميهم بذلك عما نالهم من الكآبة والحزن بانصرافهم عن مكة قبل دخولها، وقبل طوافهم بالبيت.

رأى ﷺ في المنام، وهو بالمدينة، قبل أن يخرج إلى الحديبية أنه يدخل المسجد الحرام، هو وأصحابه آمنين، منهم من يخلق رأسه ومنهم من يقصّر..

فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا.. وحسبوا أنهم داخلون مكة عامهم هذا..  
فلما انصرفوا من الحديبية، ولم يدخلوا.. شق ذلك عليهم.. وقال  
المتأفقون:

أين الرؤيا.. أين رؤياه التي رآها!!

فأنزل الله سبحانه هذه الآية.. مؤكداً لهم صدق هذه الرؤيا، وينبئهم أنها  
منه، وأنها لا بد واقعة.. وأن وراءها ما هو أكبر من دخول المسجد الحرام..  
لقد صدق الله رسوله محمداً ﷺ رؤياه التي أراها إياه أنه يدخل هو  
وأصحابه البيت الحرام آمنين، لا يخافون أهل الشرك محلقاً بعضهم ومقصراً  
بعضهم الآخر.

فعلم - جل ثناؤه - ما لم تعلموا.

وذلك هو علمه تعالى بما بمكة من الرجال والنساء المؤمنين الذين لم  
يعلمهم المؤمنون، ولو دخلوها هذا العام لداسوهم ووطنوهم بالخيل  
والرَّجُل، فأصابتهم منهم معرفة بغير علم، فردهم الله عن مكة من أجل  
ذلك.

فجعل من دون دخولهم المسجد.. فتحاً قريباً هو صلح الحديبية (أو فتح  
خير). إن شاء الله:

يقول سيد قطب: إن الله سبحانه وتعالى يؤدب المؤمنين بأدب الإيمان  
وهو يقول لهم لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله..  
فالدخول واقع حتماً، لأن الله أخبر به.

ولكن المشيئة يجب أن تظل في نفوس المسلمين في صورتها الطليقة،  
لا يقيدتها شيء، حتى تستقر هذه الحقيقة في القلوب، ووعد الله لا يُخلف،

ولكن تعلق المشيئة به أبداً طليق، إنه أدب يلقيه الله في قلوب المؤمنين ليستقر منهم في أعماق الضمير والشعور.

ويقول الدكتور الكومى في كتابه تفسير سوة الفتح: في قوله تعالى ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾، ما يؤذن بأن الرؤيا موكول بتحقيقها لمشيئة الله تعالى، يحققها إذا شاء ومتى شاء، فليس تحقيقها بقدررة المؤمنين وتدبيرهم، ولا تأجيلها برغبة قريش وإرادتهم وإنما الأمر كله لله الذى لا أراد لقضائه، وفيه تعليم لعباده، وإرشاد لهم إلى ما ينبغى أن يقولوه في حكمهم على أفعالهم المستقبلية، وتوجيه لهم إلى أن يفوضوا الأمر كله لله كما قال الله ﴿وَلَا تَقُولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله﴾.

## عمرة القضاء

وقد تحققت هذه الرؤيا بعد عام واحد من صلح الحديبية (حين حان الموعد الذى نص عليه الصلح)..

ثم بعد عامين اثنين من صلح الحديبية عندهما فتح الله عليهم مكة.. تحققت الرؤيا بعد عام واحد من صلح الحديبية، في ذى القعدة من السنة السابعة للهجرة - أى في العام التالى من صلح الحديبية - خرج رسول الله ﷺ إلى مكة معتمراً هو وأهل الحديبية.

وأحرم ﷺ من ذى الحليفة.. وساق معه الهدى - كما ساق معه في العام قبله -

وسار ﷺ إلى مكة والسيوف مغمدة في قربها وأصحابه يلبون..

ودخل رسول الله ﷺ مكة.. وبين يديه أصحابه يلبنون، وهو راكب ناقته  
القصواء التي كان راكبها يوم الحديبية، وزعيد الله بن رواحة الأنصاري  
أخذ بزمام الناقة يقودها.

وهكذا صدقت رؤيا رسول الله ﷺ، وتحقق وعد الله. وأقام المسلمون  
بمكة ثلاثة أيام بعد أن أدوا عمرتهم محلقين ومقصرين كما رأى النبي الأمين.  
ثم كان الفتح في العام الذي يليه، وظهر دين الله في مكة.

ثم ظهر في الجزيرة كلها بعد ذلك.

ثم تحقق وعد الله فظهر دينه الإسلام لا في الجزيرة وحدها بل في  
الأرض كلها قبل مضي نصف قرن من الزمان.

وما يزال دين الإسلام دين الله الحق ظاهراً على الدين كله، فهو الدين  
القوى بذاته الزاحف بلا سيف ولا مدفع من أهله.

وما من صاحب دين - غير الإسلام - ينظر في الإسلام نظرة مجردة  
من التعصب والهوى حتى يقر باستقامة هذا الدين وقوته وقدرته على قيادة  
البشرية.

ولعل أهل هذا الدين هم وحدهم الذين لا يدركون هذه الحقيقة اليوم.

فغير أهله يدركونها ويخشونها ويحسبون لها في سياستهم كل حساب!!  
ويقول الدكتور الكومي: (ومن العنت في الرأي والعدول عن جادة  
الإنصاف أن يخلط الباحث بين الإسلام ومسلمي هذا العصر، وأن يرسم  
صورته من حالهم ويرتحن مآله بمآلهم.

ولو أن المسلمين عرفوا الله حق معرفته واتقوه حق تقاته، وساروا  
كما رسم الدين رحماء متوادين، أخوة متعاونين متجهين إلى غاية واحدة،

هي إعلاء كلمة الله والاعتصام بحبل الله لئلا يفتقروا له ما وعد به عباده  
الصالحين

ولكنهم نسوا الله فأنساهم أنفسهم وأوهنوا دينهم فآووهن قوتهم  
﴿وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾.

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّةٌ عَلَى الْكُفَّارِ  
رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا يُسْجِدًا يَسْتَغْفِرُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سَيَأْتِيهِمْ  
فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ النَّجْوَى ذَلِكَ مِنْهُمْ فِي النَّوْرَةِ وَمِثْلَهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ  
كَزَّرَعٍ أُخْرِجَ شَطْرُهُ فَتَازَرَهُ فَاسْتَفَاطَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ يُعْجَبُ  
الرِّزَاعَ لِيَغِظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٩﴾

محمد رسول الله: ما أصدقها شهادة من الله برسالته عليه السلام. في وقت عزِّ فيه على قريش أن تعترف بهذه الرسالة. وكبر عليها أن يكتب في الصلح «محمد رسول الله» وذلك عندما أمر الرسول عليه الصلاة والسلام علياً أن يكتب في شروط الصلح: اكتب هذا ما قضى عليه محمد رسول الله. فقال سهيل: لو كنا نعرف أنك رسول الله لم نقاتلك ولكن اكتب اسمك واسم أبيك..

وما شهد الله لرسول من رسله بالرسالة في القرآن إلا لرسوله محمد ﷺ ﴿يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين﴾..

وقد سمي الله كل نبي في القرآن باسمه مجرداً عن وصف الرسالة، إلا محمداً رسوله ﷺ فقد تفضل الله فوصفه بوصف النبوة والرسالة في مواطن كثيرة واكفى بها عن ذكر اسمه الكريم.

نادى عز وجل الأنبياء بأسمائهم: ﴿يا نوح اهبط بسلام﴾ ﴿كلم الله موسى تكليماً﴾ ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل﴾.

أما محمد ﷺ فقد ذكر اسمه مقررناً بوصف الرسالة أو ما في معناها ﴿ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ ﴿محمد رسول الله﴾ ﴿وما محمد إلا رسول﴾ وأحياناً يكتفى عن ذكر اسمه بإطلاق وصف النبوة أو الرسالة عليه: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾ ﴿وما أتاكم الرسول فخذوه﴾ ﴿واعلموا أن فيكم رسول الله﴾ «يقول الأستاذ الخطيب عند تفسير هذه الآية التي تختتم بها سورة الفتح:

«.. وبهذا الفتح الذى وعد الله به المؤمنين تقوم دولة الإسلام ويأخذ المجتمع الإسلامى مكانه فى الحياة. ويرى الناس وجه الإسلام فى هذا المجتمع:

والصفة التى تغلب على هذا المجتمع ويعرف بها فى الناس أنه مجتمع شديد الغلظة على الكفار الذين يحادون الله ورسوله.. فلا يكون بين هذا المجتمع وبين أولئك ولاء أو مودة.

هذه حال المسلمين مع أعداء الله.. وهم فيما بينهم رحماء تفيض قلوبهم رحمة ومودة وحناناً هذا ما تنطوى عليه صدورهم.

أما ما يراه الناس من ظاهر أمرهم فهو اجتماعهم فى الصلاة، وتولية وجوههم جميعاً لله يركعون معاً ويسجدون معاً يريدون بذلك رضا الله وفضله وإحسانه.

فإذا لم يرههم الرائي فى الصلاة.. رأى منهم أثر هذه الصلاة، وما يترك

السجود من نور على وجوههم وعلى جباههم (ومن آثار ذلك هي سمة المسلم المصلى وهي للشارة التي تشير إليه).

فالصلاة هي شعار المسلم وأن من لا يؤديها لا تظهر عليه سمة الإسلام...».

وفي ختام سورة الفتح صورة عجيبة يرسمها القرآن الكريم بأسلوبه البديع لصحابة رسول الله ﷺ:

فلقطة تصور حالهم مع الكفار ومع إخوانهم في العقيدة: ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾

ولقطة تصور هيتهم في عبادتهم: ﴿تراهم ركعًا سجدًا..﴾

ولقطة تصور قلوبهم وما يشغلها: ﴿يبتغون فضلاً من الله ورضوانًا..﴾

ولقطة تصور أثر العبادة في سحتهم وسماتهم: ﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾

ولقطات متتابعة تصورهم كما هم في الإنجيل..

والمؤمنون لهم حالات شتى..

ولكن اللقطات تتناول الحالات الثابتة في حياتهم وتبرز الخطوط العريضة في هذه الحياة.

### اللقطة الأولى:

أشداء على الكفار رحماء بينهم. أشدء على الكفار وفيهم آباؤهم وإخوتهم وذوو قرابتهم ولكنهم قطعوا هذه الوشائج كلها. رحماء بينهم، وهم فقط إخوة في الدين، فهي الشدة لله والرحمة لله وهي الحمية للعقيدة..

والسماحة للعقيدة. هم يقيمون عواطفهم وروابطهم وسلوكهم على أساس عقيدتهم وحدها. يشتدون على أعدائهم فيها، ويلينون لإخوتهم فيها.

﴿تراهم ركعًا سجدًا﴾:

والتعبير يوحي كأنما هذه هيئتهم الدائمة التي يراها الرائي حينما رآهم، ذلك أن هيئة الركوع والسجود تمثل حالة العبادة وهي الحالة الأصيلة لهم في حقيقة نفوسهم.

أو: ﴿تراهم﴾:

أيها الرائي أو أيها السامع ركعًا سجدًا يبتغون فضلًا من الله ورضوانًا لتمييز ركوعهم وسجودهم عن ركوع الكفار وسجودهم وركوع المرائي وسجوده فإنه لا يبتغى به ذلك.

يبتغون فضلًا من الله ورضوانًا: هذه هي صور متاعرهم الدائمة الثابتة. كل ما يشغل بالهم وكل ما تتطلع إليه أنسواقهم هو فضل الله ورضوانه. ولا شيء وراء الفضل والرضوان يتطلعون إليه.

وهذه اللفظة الرابعة: تثبت أثر العبادة في ملاحظهم.

﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾:

سيماهم في وجوههم من الوضأة والإشراق والصفاء والشفافية، وليست هذه السيا هي النكته المعروفة في الوجه كما يتبادر إلى الذهن عند سماع قوله تعالى ﴿من أثر السجود﴾. فالمقصود بأثر السجود هو أثر العبادة واختار لفظ السجود لأنه يمثل حالة الخشوع والخضوع والعبودية لله في أكمل صورها. فهو أثر هذا الخشوع. أثره في ملامح الوجه حتى

تتوارى الكبرياء والخيلاء ويحل مكانها التواضع النبيل، والشفافية الصافية والوضاعة الهادئة، والذبول الخفيف الذى يزيد وجه المؤمن صباحة ووضاعة.

وقال الدكتور الكومى فى كتابه عند تفسير قوله تعالى ﴿سِيماهم فى وجوههم﴾ قال تحت عنوان «أثر الإخلاص»: «ولمحافظةهم على الصلاة فى أوقاتها.. ولكثرة ما صلوا بالليل والناس نيام جعلت لهم تلك الصلاة طابعاً خاصاً فى وجوههم وهيبة وحياء مع وضاعة واستنارة فى الوجه من أثر رضا الله، وربما صحب ذلك شىء من الشحوب يزيد سمتهم حسناً.

ومن الناس من يحسب أن هذه السىما التى أراد الله هى سفنة فى الجبين تشبه أثر الكى و«ثففات» البعير ولو أرادها الله على هذه الصورة لقال سىماهم على جباههم»

ثم قال: السىما التى أرادها الله ليست أثراً صادياً يصاب به الجلد، ولكنها: وقار وتواضع ورقة من خشية الله..

وقال الفخر الرازى: فيه وجهان: أحدهما أن ذلك يوم القيامة كما قال الله تعالى ﴿يوم تبيض وجوه﴾، وثانيهما أن ذلك فى الدنيا.

﴿سِيماهم فى وجوههم﴾: سىماء الإسلام وسمته وخشوعه. والسىماء من (السومة) بالضم وهى العلامة.

﴿فهم﴾: غلاظ على من خالف دينهم.. رحماء فيما بينهم. عابدون لله عاملون مخلصون. يرجون بعملهم ثواب الله. لهم علامة يعرفون بها. إن الإنجيل ضرب بشأنهم المثل فقال: سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

وهنا عند قوله تعالى: ﴿ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل﴾، وهنا وقفة نقول:

إن شئت قلت المعنى :

ذلك مثلهم في التوراة وفي الإنجيل أيضًا كمثلهم في القرآن فيكون الوقف على الإنجيل.

وإن شئت قلت :

تمام الكلام: ذلك مثلهم في التوراة ثم ابتداءً فقال: ومثلهم في الإنجيل.. كما قال ابن عباس: هما مثلان: أحدهما في التوراة والآخر في الإنجيل فيوقف على هذا على التوراة.

وقال مجاهد: هو مثل واحد فيوقف على الإنجيل: وبيئدئ كزرع.. أخرج شطأه وشطأه: فراخه وأولاده (ما خرج من الزرع وتفرع في جانبه)

فآزره: قواه وأعانه وشدّه: أى قوّى الشطأ الزرع. وقيل العكس. فاستوى على سوقه: على عوده الذى يقوم عليه فيكون ساقا له. يعجب الزراع: أى يعجب هذا الزرع زُرَاعَه، لقوته وحسن منظره. فالزرع محمد والشطء أصحابه.. كانوا قليلاً فكثروا، وضعفاء فقووا، فهذا مثل ضربه الله تعالى لأصحاب النبي ﷺ يعنى أنهم يكونون قليلاً ثم يكثرون.

والكلام يتم عند قوله: يعجب الزراع.

وليغيط: اللام للتعليل: أى كثرهم الله وقواهم ليكونوا غيظاً للكافرين.

وهذه الصور الوضيئه ليست مستحدثة إنما هى ثابتة لهم فى لوحة القدر، ومن ثمّ فهى قديمة جاء ذكرها فى التوراة: ﴿ذلك مثلهم فى التوراة﴾.

ذلك: أى ما تقدم من هذه الصفات مثلهم وصفتهم التى عرفهم الله بها فى كتاب موسى.

ومثلهم فى الإنجيل: وصفتهم فى بشارته بمحمد ومن معه أنهم: كزرع أخرج شطأه: فهو زرع نام قوى، يخرج فرخه من قوته وخصوبته، لكن هذا الفرخ لا يضعف العود بل يشده.

فأزره أو: أن العود أزر فرخه فشد.

فاستغلظ: الزرع وضخمت ساقه وامتلات.

فاستوى على سوقه: لا معوجاً ومحنياً ولكن مستقيماً قوياً سوياً.

هذه هى صورته فى ذاته. فأما وقعه فى نفوس أهل الخبرة فى الزرع العارفين بالنامى منه والذابل، المثمر منه والبائر، فهو وقع البهجة والإعجاب ﴿يعجب الزارع﴾

(وفى قراءة يعجب الزارع وهو رسول الله ﷺ. صاحب هذا الزرع النامى)

وأما وقعه فى نفوس الكفار فعلى العكس فهو وقع الغيظ والكمد: ﴿ليغيظ بهم الكفار﴾ وتعمد اغاظة الكفار يوحى بأن هذه الزرعة هى زرعة الله، أو زرعة رسول الله ﷺ، وأنهم ستار للقدرة وأداة لإغاظة أعداء الله.

قال الزنخسرى: هذا مثل ضربه الله لبدء أمر الإسلام وترقيه فى الزيادة إلى أز قوى واستحكم، لأن النبى ﷺ قام وحده ثم قواه الله بمن آمن معه، كما يقوى الطاقة الأولى من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها حتى يعجب الزارع.

وهذا ما قاله البغوي: من أن (الزرع) محمد ﷺ و(الشطاء) أصحابه  
والمؤمنون، فجعلنا التمثيل للنبي ﷺ وأمة.

أما «القاضي»: فجعله مثالا للصحابة فقط.

وعبارته: وهو مثل ضربه الله تعالى للصحابة. قلوا في بدء الإسلام ثم  
كثروا واستحكموا فترقى أمرهم بحيث، عجب الناس.

وهذا المثل كذلك ليس مستحدثا،

فهو ثابت في صفحة القدر.

ومن ثم ورد ذكره قبل أن يجيء محمد ومن معه إلى هذه الأرض.

ثابت في الإنجيل في بشارته بمحمد ومن معه حين يجيئون..

ويستطيع الباحث في التوراة والإنجيل بوصفها العالي، وبعد ما نالها  
من تغيير وتبديل، يستطيع أن يستخرج منها ما يؤيد ما أشار إليه القرآن،  
وما تحدث به عن صفات أصحاب رسول الله ﷺ:

في انجيل مرقس، الإصحاح الرابع الآية ٣٠:

عندما تحدث عن الأمة الآتية، والمملكة الآتية - التي رمز إليها بملكوت

الله قال:

مثل ملكوت الله كمثل حبة خردل متى زرعت في الأرض فهي أصغر  
جميع البذور التي على وجه الأرض.

ولكن متى زرعت تطلع، وتكبر وتصير أكبر جميع البقول.

وتضع أغصانا كثيرة كبيرة حتى تستطيع طيور السماء أن تأوى تحت  
ظلها..

وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة، وأجرا عظيما..

أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار..  
حملوا عبء الدعوة.. ونشروا كلمة الله.. كلمة التوحيد والإخلاص  
وأبادوا الشرك وبددوا ظلماته.. ونشروا النور في الأرجاء وجاهدوا في سبيل  
ذلك بأموالهم وأنفسهم.

أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم وعد  
الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما.

منهم: ليس منهم ذلك الذي اختبأ وراء بعيره.. عند بيعة الرضوان.  
ولا الذي تعلل بالمرض ولم يبايع فحرم من رضا الله. و«من» هاهنا  
للتبويض أخرجت:

هؤلاء الذين لم يبايعوا.. أخرجتهم من المغفرة وحرمتهم الأجر،  
وأبعدتهم عن شرف الاتصاف بهذه الأوصاف التي كرم الله بها صحابة  
رسوله المؤمنين الخالص في إيمانهم الذين باعوا أنفسهم في سبيل الله،  
فاشترها الله منهم بالجنة وجيليل الثواب، وأفاء عليهم من غفرانه وأفاض  
عليهم رضاه ورضوانه.

## كلمات... ومعاني قرآنية

### الحق

من معاني الحق:

الله:

﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن﴾  
(سورة المؤمنون: آية ٧١)

والقرآن:

﴿بل كذبوا بالحق لما جاءهم﴾  
أى: بالقرآن.

والإسلام:

﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل﴾  
﴿ليحق الحق﴾  
﴿إنك على الحق المبين﴾

والعدل:

﴿يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق﴾

أى: حسابهم العدل.

﴿ويعلمون أن الله هو الحق المبين﴾

أى: العدل المبين.

﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق﴾.

أى: بالعدل.

﴿واحكم بيننا بالحق ولا تشطط﴾.

بالحق أى: بالعدل.

﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق﴾

أى: أليس هذا العذاب بالعدل.

والتوحيد:

﴿فعلموا أن الحق لله﴾ يعنى: التوحيد. ومنه ﴿بل جاء بالحق وصدق

المرسلين﴾ أى: بالتوحيد.

والصدق:

﴿ويستنبئونك أحق هو، قل إى وربى﴾ أى: لصدق.

والمال:

﴿وليمل الذى عليه الحق﴾ أى: المال.

﴿فإن كان الذى عليه الحق﴾ أى: المال.

والحظ والنصيب:

﴿والذين فى أموالهم حق معلوم﴾ أى حظ ونصيب.

والحاجة:

﴿قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق﴾ أى من حاجة.

والحق بعينه الذى ليس بباطل:

﴿ذلك بأن الله هو الحق﴾ وغيره من الآلهة باطل.

﴿ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق﴾ وغيره باطل.

والحكمة والإتقان:

﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾.

أى: بالحكمة والتقدير والإتقان لا على وجه الباطل والعبث.

والوقوع:

﴿وإذا قيل إن وعد الله حق﴾ أى: واقع.

## الله

الله - وحده - هو الواحد الأحد.

ولا يوجد شيء - سوى المولى سبحانه - إلا وله ما يقابله.

فالمزوجة في كل شيء.. ﴿وخلقناكم أزواجاً﴾.. من ذكر وأنثى في دنيا الحيوان.. والنبات.

وإذا تجاوزنا عالم الأشياء التي تولد وتتوالد بالزواج وجدنا هذه المزاوجة قائمة في عالم المعاني: مثل: الحق.. والباطل.. والإيمان.. والكفر.. والخير.. والشر.. والسعادة.. والشقاء..

﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين﴾ أى: متزواجاً: أن الشيء الواحد ليس في حقيقته شيئاً واحداً.. وإنما شيئان اجتمع بعضهما إلى بعض فكان منها هذا الشيء ولا واحد إلا الخالق وحده.

حتى الخلية الواحدة تنقسم إلى خليتين، وكل خلية منها تنقسم إلى خليتين.. وهكذا.

## الزوج

قال في «تاج العروس من جواهر القاموس» للزبيدي:  
الأصل في الزوج: الصنف والنوع من كل شيء. وكل شيئين مقترنين:  
شكليين كانا، أو نقيضين فهما زوجان وكل واحد منهما زوج.

قال الزجاج في قوله تعالى: ﴿أحشروا الذين ظلموا وأزواجهم﴾ أى  
أشباههم ونظراءهم وضرباءهم. وتقول عندى من هذا أزواج أى أمثال.  
وكذلك زوجان من الخفاف أى كل واحد نظير صاحبه.

وكذلك الزوج: المرأة، والزوج: المرء قد تناسبا وتشابها بعقد النكاح.  
وقوله تعالى: ﴿أو يزوجهم ذكراً وإناثاً﴾ أى يقترنهم وكل شيئين  
اقترن أحدهما بالآخر فهما زوجان.

وقيل: أراد بالتزويج: التصنيف والزوج الصنف والذكر صنف، والأنثى  
صنف.

والزوج خلاف الفرد، يقال زوج أو فرد كما يقال شفع أو وتر.  
وقوله تعالى: ﴿وآخر من شكله أزواج﴾ قيل معناه: ألوان وأنواع من  
العذاب.

ويقال للثنتين: هما: زوجان، وهما: زوج.

وقيل: الزوج: الفرد الذى له قرين.

والزوج: الاثنان.

وعنده زوجا نعال: وزوجا حمام: يعنى ذكرين أو اثنتين وقيل: يعنى ذكرا وأُنثى.

ولا يقال: زوج حمام: لأن الزوج هنا هو الفرد: وقد أولعت به العامة.

وقال أبو بكر: العامة تحطىء فتظن أن الزوج اثنان وليس ذلك من مذاهب العرب.

إذ كانوا لا يتكلمون بالزوج موحدًا في مثل قولهم: زوج حمام.

ولكنهم يشونونه فيقولون عندى زوجان من الحمام يعنون ذكراً وأُنثى.

وعندى زوجان من الخفاف يعنون: اليمين والشمال.

ويوقعون الزوجين على الجنسيتين المختلفين نحو الأسود والأبيض والحلو والحامض.

وقال ابن شميل: الزوج: اثنان كل اثنين: زوج: يقال واشتريت زوجين من خفاف: أى أربعة.

والزوج: عند النحويين: الفرد.

ويقال للرجل والمرأة: الزوجان: أى: الفردان.

قال الله تعالى ﴿ثمانية أزواج﴾ أى: ثمانية أفراد.

وقالوا: هذا هو الصواب.

والأصل فى الزوج الصنف والنوع من كل شىء وكل شيتين. الخ.

وفى المحكم: الرجل زوج المرأة: وهى: زوجه وزوجته ﴿أسكن أنت

وزوجك الجنة﴾.

أهل الحجاز: يضعون الزوج للمذكر والمؤنث وضعاً واحداً: تقول المرأة  
هذا زوجي ويقول الرجل: هذه زوجي ﴿وإن أردتم استبدال زوج مكان  
زوج﴾ أى امرأة مكان امرأة

وفى المصباح: الرجل زوج المرأة، وهى زوجة أيضاً. هذه هى اللغة  
العالية وجاء بها القرآن والجمع منها أزواج.

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات.

## الفهرس

### الصفحة

٥	بين يدى السورة .....
٥	رؤيا رسول الله .....
٥	خروج الرسول والصحابة لأداء العمرة .....
٦	موقف قريش .....
٦	سفراء قريش .....
٧	بيعة الرضوان .....
٨	صلح الحديبية وشروطه .....
٨	موقف الصحابة من الصلح .....
٩	التحلل من العمرة .....
١٠	نزول سورة الفتح .....
١١	تفسير سورة الفتح .....
١٢	تعين الفتح .....
١٣	ثمرات الفتح على الرسول ﷺ .....
١٥	بين الفتح والمغفرة .....
١٦	عصمة الأنبياء .....
١٩	إتمام النعمة .....
١٩	الهداية إلى الصراط المستقيم .....

٢١	هبات ومنح للرسول ﷺ
٢٣	نعم الله على المؤمنين
٢٤	حقيقة الإيمان وشروطه
٢٧	جزاء المنافقين والمشركين
٣٠	سمات الرسالة المحمدية
٣٣	بيعة الرضوان
٣٤	يد الله
٣٥	الوفاء بالبيعة
٣٦	المخلفون من الأعراب
٣٧	اعتذار المخلفين
٣٧	القرآن يكشف موقف المخلفين
٣٩	إرشادهم إلى التوبة
٤٠	المخلفون وغنائم خيبر
٤١	حرمان المخلفين
٤٣	دعوة المخلفين إلى الجهاد
٤٤	يوم حنين
٤٧	رضا الله عن المياعين
٤٩	الغنائم
٦١	حمية الجاهلية
٦٢	كلمة التقوى وأهلها
٦٥	الرؤيا المحمدية وتحققها

- ٦٩ ..... عمرة القضاء
- ٧٢ ..... شهادة الله لرسوله بالرسالة
- ٧٤ ..... صورة قرآنية لصحابة الرسول
- ٧٦ ..... مثل الصحابة في التوراة والإنجيل

كلمات ومعان قرآنية:

- ٨١ ..... الحق
- ٨٤ ..... الله
- ٨٥ ..... الزوج

## من كتب الدكتور محمود بن الشريف

- في الدراسات القرآنية:
- ١ - الأمثال في القرآن (طبعة رابعة)  
الناشر: دار المعارف (سلسلة اقرأ)
- (طبعة خامسة)  
الأمثال في القرآن  
الناشر: دار عكاظ بالسعودية.
- (طبعة سادسة)  
الأمثال في القرآن  
الناشر: مكتبة الهلال بلبنان.
- ٢ - الدعاء في القرآن (طبعة ثانية)  
الناشر: دار المعارف (سلسلة اقرأ)
- (طبعة ثالثة)  
الدعاء في القرآن  
الناشر: دار عكاظ بالسعودية.
- (طبعة رابعة)  
الدعاء في القرآن  
الناشر: مكتبة الهلال بلبنان.
- ٣ - الأديان في القرآن (طبعة رابعة)  
الناشر: دار المعارف.
- (طبعة خامسة)  
الأديان في القرآن  
الناشر: دار عكاظ بالسعودية.

- ٤ - الصبر في القرآن  
الناشر: دار عكاظ بالسعودية.
- ٥ - من أعلام المفسرين: الطبري.  
الناشر: دار عكاظ بالسعودية.
- ٦ - إطلالة على سورة يس  
الناشر: دار المعارف.
- ٧ - الحب في القرآن  
الناشر: دار المعارف (سلسلة اقرأ).
- ٨ - الرسول في القرآن  
الناشر: دار الكاتب العربي.  
(طبعة ثانية)
- ٩ - الفرقان في القرآن  
الناشر: دار الكاتب العربي.
- ١٠ - الحياة البرزخية في القرآن  
الناشر: دار الشعب  
الحياة البرزخية في القرآن  
الناشر: مكتبة مدبولي.  
(طبعة ثانية)
- ١١ - القرآن ودنيا المرأة  
الناشر: مكتبة الهلال بلبنان
- ١٢ - اليهود في القرآن  
الناشر: دار الكاتب العربي.  
اليهود في القرآن  
الناشر: مكتبة الهلال بلبنان.  
(طبعة ثانية)

- ١٣ - الشعب الملعون في القرآن  
الناشر: دار الكتب الحديثة  
(طبعة ثانية)  
الشعب الملعون في القرآن  
الناشر: مكتبة الهلال بلبنان.
- ١٤ - القصة في القرآن  
الناشر: مكتبة الهلال بلبنان.
- ١٥ - القرآن وحياتنا الثالثة  
الناشر: دار المعارف سلسلة (كتابك).

#### في الدراسات النبوية:

- ١ - من جوامع الكلم وينايع الحكم.  
الناشر: المؤلف.
- ٢ - المختصر الشريف في علوم الحديث الشريف.  
(تحت الطبع).

#### في الدراسات الإسلامية:

- ١ - الإسلام والحياة الجنسية.  
الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية.  
(طبعة ثانية)  
الإسلام والحياة الجنسية  
الناشر: مكتبة الهلال بلبنان.
- ٢ - الإسلام والأسرة  
الناشر: مؤسسة المطبوعات الحديثة.

(طبعة ثانية)

الإسلام والأسرة

الناشر: مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر.

٣ - بدر الغزوة الإسلامية الأولى

الناشر: مكتبة النهضة المصرية.

٤ - فدائيات إسلاميات

الناشر: مكتبة النهضة المصرية.

دراسات أدبية وتراجم:

١ - رواد خالدون

الناشر: دار سعد مصر.

٢ - خليل مطران أستاذ شوقي وحافظ

الناشر: دار سعد مصر.

٣ - الملخص الوافي في الأدب والنقد

الناشر: الدار المصرية للطباعة والتشريف.

٤ - رائد الفضاء

الناشر: المؤسسة العربية الحديثة.

٥ - خليل مطران شاعر الحرية

الناشر: دار الكاتب العربي.

٦ - أدب محمود تيمور للحقيقة والتاريخ

الناشر: مكتبة الكيلاني.

٧ - الفقاعى أصغر فدائى مصرى

الناشر: الدار القومية.

٨ - أسلحتنا العربية قديماً وحديثاً  
الناشر: الدار القومية.

كتب محققة:

- ١ - الرسالة القشيرية  
(بالاشتراك مع الإمام الأكبر عبد الحلیم محمود)  
الناشر: دار الكتب الحديثة.
- ٢ - غيث المواهب العلية.  
(بالاشتراك مع الامام الأكبر عبد الحلیم محمود)  
الناشر: دار الكتب الحديثة.
- ٣ - شرح حكم ابن عطاء الله  
(بالاشتراك مع الإمام الأكبر عبد الحلیم محمود)  
الناشر: دار الكتب الحديثة.
- ٤ - عوارف المعارف  
(بالاشتراك مع الإمام الأكبر عبد الحلیم محمود)  
الناشر: دار الكتب الحديثة.
- ٥ - قرّة العين في شرح الحكم  
(للشيخ زروق)  
الناشر: دار التراث العربي.

كتب مترجمة:

- ١ - عذراء باريس  
الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية.

١٩٩١ / ٧١٦٥	رقم الإيداع
ISBN 977-02-3407-9	الترقيم الدولي

١ / ٩١ / ٧٩

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)